النشر الرقمي باعتماد المعهد | السلسلة المحكمة (٣٢)

قَصِيْدَتان منسوبتان

لأبي بَكْرٍ ابن دُرَيْد (ت ٣٢١هـ)

القصيدة الأولى: في وَصْف الأسَدِ

القصيدة الثانية: الشطرنجية

تحقيق | إبراهيم بن سعد الحُقيل

السنة الثالثة: محرم ١٤٤٢هـ - يوليو ٢٠٢٠م - السلسلة المحكمة - نصوص (١٩)

معهد المخطوطات العربية
INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS (IAM)

السلسلة المحكمة (٣٢)
نصوص

• المنظَّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية.
• قَصِيْدَتان منسوبتان لأبي بَكْرٍ ابن دُرَيْد (ت٣٢١هـ)، المكتبة الرقمية، السلسلة المحكمة (٣٢)، نصوص(١٩)، معهد المخطوطات العربية.
• حقوق النشر الرقمي محفوظة لمعهد المخطوطات العربية.
• حقوق النشر الورقي محفوظة للمحقق.
• الأفكار الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المنظمة والمعهد.
• يسمح بالنقل عن الكتاب بشرط الإشارة إلى ذلك.

• معهد المخطوطات العربية Institute of Arabic Manuscripts
٢١ ش المدينة المنورة - المهندسين، القاهرة.
ص.ب ٨٧ - الدقي - القاهرة - ج. م. ع.
هاتف ٣٧٦١٦٤٠٢ - ٣٧٦١٦٤٠٣ - ٣٧٦١٦٤٠٥ (٢٠٢+)
فاكس ٣٧٦١٦٤٠١ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: turathuna@malecso.org
الموقع الإلكتروني: www.malecso.org

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد المخطوطات العربية
INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS (IAM)

نشرة أولى رقمية
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

النشر الرقمي
باعتماد المعهد

محرم ١٤٤٢هـ / يوليو ٢٠٢٠م

السنة الثالثة
السلسلة المحكمة (٣٢)
نصوص

مكتبةٌ تراثية شهرية تتغيَّا الدخولَ بالتراث إلى العالم الرقمي دخولًا يحافظُ على هيبته وتقاليد نشره، كما تتغيا ترسيخَ هذا الدخولِ بتقديم نماذج لكبار المحققين من جهة، وتشجيع الشُّداة بمراجعة أعمالهم علميًّا ومنهجيًّا وإخراجها بلَبُوس لائقٍ من جهة أخرى.

الهيئة الاستشارية

أحمد العبادي المغرب
أحمد بن محمد الضبيب السعودية
حسن الشافعي مصر
الخليل النحوي موريتانيا
رضوان السيد لبنان
عبد الله يوسف الغنيم الكويت
فخر الدين قباوة سورية
هادي حسن حمودي العراق

المدير المسؤول
ورئيس التحرير
فيصل الحفيان

مدير التحرير
يوسف السناري

معهد المخطوطات العربية
INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS (IAM)

فريق العمل

إخراج فني: أكرم خضري. أرشفة رقمية: أحمد منشاوي. دعاية وإعلام: إقبال سامي أحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلسلة المحكمة (٣٢)

نصوص (١٩)

قَصِيْدَتان منسوبتان

لأبي بَكْرٍ ابن دُرَيْد (ت٣٢١هـ)

القَصيدَةُ الأُولَى: في وَصْفِ الأَسَدِ
القَصِيدَة الثانيةُ: الشَّطْرَنْجِيَّةُ

تحقيق

إبراهيم بن سعد الحُقيل

فهرس

٨ الملخص

٨ الكلمات المفتاحية

٩ المقدمة

١٢ ابن دريد

١٦ **القصيدة الأولى في وصف الأسد**

١٧ توطئة

١٨ توثيق نسبة القصيدة

٢٠ لماذا أنشأ ابن دريد القصيدة

٢١ القصيدة

٢٦ وصف المخطوط

٣٤ النص المحقق

٤٤ **القصيدة الثانية: الشطرنجية**

٤٥ توطئة

٤٧ توثيق نسبة القصيدة

٤٨ لماذا أنشأ ابن دريد القصيدة

٥٠ القصيدة

٢٦ وصف الأصل المخطوط

٦٠ النص المحقق

٦٦ فهرس المصادر والمراجع

الملخص:

يحقق الباحث قصيدتين وُجِداتا في ذَيْلي مخطوطين ندّا عن جامعي شعر ابن دريد، تضيف القصيدتان لتراث ابن دريد الشعري إضافة تدعو إلى إعادة جمع شعره مرة أخرى.

لقد اهتم المحقق بمناقشة صحة نسبة هاتين القصيدتين لابن دريد، مُستدلًّا بأدلة داخلية وخارجية، وقدم الباحث لكل قصيدة بمقدمة ناقش فيها سبب إنشائها، وتناول فيها بعض الجوانب الفنية في كل قصيدة، قبل أن يصل إلى وصف النسختين الخطيتين اللتين ضمتا هاتين القصيدتين. وقد عُني الباحث في تحقيقه بتفسير ما غمض من الألفاظ، وشرح بعض المعاني التي تخدم النص المحقق.

الكلمات المفتاحية:

[ملك الغابة، الأسد، أدب الحيوان، الشعر المزدوج، المخطوطات الحائرة].

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا تزال كثير من المخطوطات التي تظهر تباعًا تحمل بين دفتيها كنوزًا طال احتجابها، وكانت بعيدة عن أنظار المهتمين بالتراث، لكن رقمنة جزء من هذا التراث المخطوط ساعد في انتشاره ووصوله إلى الأيدي الحفية به، التي سرها ما وجدت، وشمرت عن ساعد الجد في نشره، وبحمد الله عثرت في ذيول هذه المخطوطات على قصيدتين منسوبتين لابن دريد، لم تنشرا وتحققا من قبل، الأولى قصيدة بديعة في وصف الأسد، والأخرى قصيدة رباعية الشكل، طريفة في غرضها الشعري الذي تطرقه، وهو غرض شطرنجي، ذلك المجال الذي لم يذكر فيه ابن دريد بإنتاج، والقصيدتان تُضيفان لتراث ابن دريد الشعري إضافة بيِّنة، لذلك بادرت إلى تحقيق هاتين القصيدين، آملًا أن تسد الخلل الذي لحق بديوانه، الذي لم يزل منذ نشره السيد بدر الدين العلوي أول مرة سنة ١٣٦٥هـ مبتورًا.

لم يصل إلينا مجموع شعر ابن دريد الذي كان مجموعًا كبيرًا[١]، وشعره كما ذكر بعض معاصريه كثير[٢]، ولا غرو في ذلك فقد كان ابن دريد من المبرزين المكثرين في التصنيف والشعر، ويعد أشعر العلماء وأعلم الشعراء[٣]، وهذا الشعر الكثير متفرق بين المصادر المختلفة، فمن ثم كان جمعه والعناية به مما استرعى انتباه الباحثين، فقام السيد بدر الدين العلوي بجمعه والعناية به ونشره في القاهرة بعنوان «ديوان شعر الإمام أبي

---

(١) ذكر القفطي أن ديوانه في خمس مجلدات. إنباه الرواة ٣: ١٠٠

(٢) قال تلميذه أبو الحسن المسعودي في مروج الذهب ٤: ٣٢٠: «وشعره أكثر من أن نحصيه»، ونقلها ابن خلكان بعينها في وفيات الأعيان ٤: ٣٢٣. وقال العوتبي في أنسابه ٢: ٧١٥: «ولأبي بكر محمد ابن الحسن بن دريد الازدي فيها قصائد عدة يرثي فيها من قتل بها». وقد اقتصر على ثنتين منها.

(٣) معجم الأدباء ٦: ٢٤٩١

بكر بن دريد الأزدي» سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، وبذل في عمله هذا جهدًا كبيرًا، وسد هذا الديوان ثغرة أعانت القراء والباحثين حقبة من الزمن، تلاه الدكتور عمر سالم، الذي قام بجمع شعره في رسالة أكاديمية، معتمدًا على نشرة العلوي مضيفًا له ما وجده من شعره، ونشره سنة ١٩٧٣م، وأُعيد نشره مرة أخرى كما هو من دون زيادة في دبي سنة ٢٠١٢م، إن هاتين النشرتين قد تتبعتا شعره في المصادر المختلفة المخطوط والمطبوع، ولا شك أن الاستقصاء عسير لتشعب البحث وكثرة مصادره، وورود بعض الشعر في غير مظانه، ومن ذلك هاتان القصيدتان اللتان ندَّتا عنهما.

إن هاتين القصيدتين من القليل الذي وصلنا مخطوطًا من شعر ابن دريد[١]، وقد رُصِدتْ القصيدة الأولى في هذه النسخة منذ زمن طويل[٢] لكن لم يهيئ لها الله من يقوم على تحقيقها ونشرها، فعقدت العزم على تحقيقها خدمة لهذا العالم الجليل، وخدمة لتراثنا العربي المحبب.

لقد كان ابن دريد شاعرًا مُتفننًا، طرق أبواب الشعر وضروبه، وزاوج بين الشعر والمعرفة، فلم يكن يرى الشعر وعاء الإبداع بل هو وعاء للمعرفة والعلم، إضافة إلى المنحى الجمالي والإبداعي الذي يتمثله، وخير دليل على ذلك قصيدة المحلقة في سماء الشعر والإبداع والعلم الموسومة بالمقصورة، فهي التي فتحت بابًا من أبواب الإبداع والمعرفة، ولا نعدم مثل ذلك وإن كان بدرجة أقل جودة وسيرورة في قصيديتيه اللتين يزيل القلم القاصر الضعيف ركام غبار القرون الذي علاهما، آملًا في هذا الصنيع أن يحرك الحماسة لصناعة ديوان لابن دريد، يستدرك فيه كثيرًا مما فات صانعيه، اللذين لم يألوا جهدًا في تتبع شعره في مظانه، لكن ظروف العصر قصرت من باعمها في البحث

---

(١) ذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢: ١٨٢ عدداً من القصائد الموجود مفردة مخطوطة في بعض المكتبات العالمية.

(٢) تاريخ التراث العربي ١/٨: ١٨٠

والتقصي، ومرت سنون كثيرة على هاتين النشرتين تتداولهما الأيدي على أنهما قاصرتان، لم تحيطا بكثير من شعره، الذي لا زال كثير منه محبوسًا في بطون الكتب؛ المطبوع منها والمخطوط، خاصة وقد أصبح الوصول إليه سهلًا ميسورًا، وابن دريد قَمِنٌ بذلك؛ لما له من أثر في الدرس اللغوي والأدبي، وحضور في المشهد الحضاري العربي عالمًا مبدعًا وشاعرًا متفننًا.

إبراهيم بن سعد الحقيل

١٤٤١/٧/٥هـ

ابنُ دُرَيد[1]

من الخطل أن يعقد الباحث ترجمة مطولة لابن دريد فهي مبسوطة في مصنفات مستقلة[2]، وكثير من مقدمات مصنفاته المحققة، وإنما نذكر ما يعطي القارئ صورة مختصرة عنه، من دون البسط في ترجمته.

هو: محمد بن الحسن بن دُريد بن عَتَاهِيَة الأزدي البصري، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣هـ في بيت علم وفضل ورياش، توفي والده وهو صغير، فكفله عمه الحسين بن دريد، الذي كان من أهل العلم واليسار، وله خلطة وصداقة مع أبي عثمان الأَشْنَانْدَانِي (ت٢٨٨هـ) فدعاه إلى تعليم هذا الفتى، فأعجبَهُ منه سرعة حفظه، وحضور بديهته، ونباهته. وكانت سنواته الأولى في الطلب في مدينة البصرة التي كانت تعج بالعلماء، فأخذ من كبارهم، وسمع ممن يقدم من الأعراب إليها.

بعد أن شب عن الطوق خرج الزنج بثورتهم، فأصبحت البصرة على خطر عظيم منهم، فخرج مع أهله قاصدًا مستقرهم الأول عُمان، فأقام بها مدة من الزمن، ثم انتقل إلى الجزيرة الفراتية، ثم أقام ببلاد فارس عند أبي العباس المِيْكَالِي، وعلت هناك منزلتُه، ثم عاد للبصرة التي لم يُطل المكث بها فغادرها إلى ببغداد، وجعلها مستقرًّا له سنة ٣٠٨هـ، فكان من محاسنها، ونظرًا لحياته الطويلة وتنقلاته المتباعدة فقد قُسِّمت مراحل حياته إلى حقب متعددة، هي:[3]

الحقبة البصرية الأولى، من سنة ٢٢٣هـ حتى سنة ٢٥٦هـ، وهي المرحلة التي تأسس فيها علميًّا.

---

(١) ترجمته مبسوطة في كثير من الكتب، ومنها: مراتب النحويين (ص٩٩)، نور القبس (ص٣٤٢)، تاريخ بغداد ٢: ٥٩٤، معجم الأدباء ٦: ٢٤٨٩، إنباه الرواة ٣: ٩٢، وفيات الأعيان ٤: ٣٢٩، وغيرها.

(٢) منها كتاب «ابن دريد حياته وتراثه اللغوي والأدبي» لمصطفى السنوسي، نشر سنة ١٤٠٤هـ، إضافة إلى ترجماته في مقدمات المحققين لكتبه.

(٣) ابن دريد رائد القصة العربية (ص ٣٥)

الحقبة العمانية، وتبدأ من سنة ٢٥٦هـ، وحتى سنة ٢٧٠هـ

الحقبة البصرية الثانية، وتبدأ من سنة ٢٧٠هـ، حتى سنة ٢٩٥هـ

المرحلة الفارسية، حين انتقل مع الميكالي، وتبدأ من سنة ٢٩٥هـ، وحتى سنة ٣٠١هـ

الحقبة البصرية الثالثة، وتبدأ من سنة ٣٠١هـ، وحتى سنة ٣٠٨هـ

الحقبة البغدادية، وتبدأ من سنة ٣٠٨هـ، حتى وفاته بها سنة ٣٢١هـ

لقد قضى ابن دريد في البصرة جل عمره؛ نحوًا من سبع وستين سنة (٦٧) وهي الحقبة الأطول من عمره، كان فيها الطالب والمستمع والعالم والمملي.

صنف ابن دريد كثيرًا من المصنفات الجليلة، ومن أجلها قدرًا كتاب «جمهرة اللغة» أملاه من حفظه إلّا شيئًا يسيرًا، وكتاب الاشتقاق، والأمالي، وهو في عداد المفقود، ولم يبق من أماليه إلا تعليقٌ مُنْتَخَب[1] منها، وغيرها كثير، وهي مصنفات تؤكد تميزه في مضمار التصنيف، ليس تميزًا من ناحية الاستقصاء والتحليل والتطبيق بل من ناحية الابتكار والخلق.

لم يكن ابن دريد عالمًا من علماء اللغة وحسب، بل كان نحويًّا، أخباريًّا، نسَّابة، رَاوِية، شطرنجيًّا، وكل هذه العلوم هَضَمها وأبدع فيها، ونجد مصداق هذا القول في مصنفاته، ونقول تلاميذه عنه، وحسبك بعالم أن يكون من تلاميذه مثل أبي سعيد السيرافي، وابن خالويه، وعلي بن الحسن الرماني، وأبي عبيد الله المرزباني، وأبي الفرج الأصفهاني[2]، وكلهم من أساطين الأدب واللغة والرواية، يقرون له بالأستاذية والتقدم في العلم والمعرفة.

---

(١) نشر في الكويت سنة ١٤٠٤هـ بتحقيق مصطفى السنوسي.

(٢) معجم الأدباء ٦: ٢٤٩٠

وكان مع واسع علمه واسع الفضل والتفضل، كريمًا سخيًّا[1]، لا يجمع مالاً ولا يثمره، فاجتمع فيه السخاء والعلم، وبهما بلغ الغاية القصوى.

عاش ابن دريد عمرًا مديدًا، قضى منه فوق ستين سنة يدرس العلم ويبذله، حتى توفي بعد هذه الحياة الحافلة ببغداد في شهر رمضان وقيل شعبان سنة ٢٢١هـ بعد أن امتد به العمر نحوَ قرنٍ من الزمان، انخرم منه سنتان (٩٨ سنة).

ابن دريد والشعر

عُرف ابن دريد بالعلم أكثر من الشعر، والمتأمل في نتاجه في كلا الحقلين يرى أنه مبرزٌ في كليهما، لكنه آثر العلم على الشعر، فكان من لوازم العلم وخدمه، ولم يكن النقيض كما في حالة بعض الشعراء الذين جمعوا بينهما كأبي تمام والمتنبي، وهذا ناتج من نظرة ابن دريد للشعر، فقد رآه دون منزلته النَّسَبيَّة والاجتماعية والعلمية، فكانت همته منصرفة عنه، يقول:

أَرَى الشِّعرَ مَعْنًى لا تَقبَّضُ هِمَّتِيْ عَلَيْهِ ولا أَرْضَى بِهِ لِيَ مَنزلا
ولَوْ كَانَ مِمَّا تَسْتَرِيْحُ خَوَاطِرِيْ إِلَيْهِ لَقُدْتُ الصَّعْبَ مِنْهُ مُذَلَّلا

وحالة ابن دريد تشابه حالة الإمام الشافعي، الذي كان راوية للشعر واللغات، فوق علمه الجم في الفقه، وروايته الحديث الشريف، لكنه جعل الشعر أدنى اهتمامته تورعًا وليس كما في حالة ابن دريد اعتدادًا بنفسه، مع أنه أرفع نسبًا ومحتدًا من ابن دريد، فهما وإن اتفقا في الحط من الشعر في مسيرتهما الإبداعية إلَّا أنهما اختلفا في السبب الدافع لذلك.

وابن دريد معجب بالإمام الشافعي، فعلى أنه لم يدركه لأنه ولد بعد عقدين تقريبًا

---

(١) الوافي بالوفيات ٢: ٣٤٠

من وفاة الشافعي إلَّا أنه رثاه رثاء حارًّا في قصيدتين مطلع الأولى منهما وهي أجودهما:[1]

بِمُلْتَفَتَيْـــهِ للمَشِـــيْبِ مَطَالِـــعُ ذَوَائِـــدُ عَـــن وِرْدِ التَّصَـــابِي رَوَادِعُ

فلعله تأثر به وبنظرته للشعر التي أكدها قوله:[2]

ولَـــوْلا الشِّـــعْرُ بالعُلَمَـــاءِ يُـــزْرِي لكُنْـــتُ اليَـــوْمَ أشْـــعَرَ مِـــن لَبِيْـــدِ

إني أجد صورة ابن دريد لو أسهب في عالم الشعراء، وجرى مجراهم ماثلة في أبي العلاء المعري، وأتحسر على أن ابن دريد على طول عمره الذي قارب قرنًا من الزمان لم تكن نظرته للشاعر في ما أحسبه نظرة إكبار وإجلال بل كانت نظرة انتقاص.

أقول هذا وقد يكون ابن دريد وجد أن الغوص في لجج الشعر سيصرفه عن العلم، ويجعله عرضه للتكسب بالشعر، فتنحط منزلته العلمية، ويصبح محمد بن الحسن بن دريد الشاعر وليس العالم الذي كان يراه منتهى أمله وطموحه.

---

(١) ديوان الإمام ابن دريد (ص ٧٧)

(٢) ديوان الشافعي (ص ١٢٢) وعده المحقق من صحيح شعره.

القَصيدَةُ الأُولَى

في وَصْفِ الأَسَدِ

توطئة

كانت الشجاعة في جاهلية العرب من أبرز شمائل الرجال، ولها مكان عالٍ بينهم، بها يتوسلون إلى طلب المعاش، والدفاع عن القبيلة، والذود عن الحياض، فلما جاء الإسلام انطلقوا فاتحين فكانت الشجاعة من مقومات الجيوش العربية، وكان رمز الشجاعة عندهم الأسد، هذا الحيوان القوي الذي يبطش بكل سبع، فتخشى السباع قبل غيرها نزاله، والدخول معه في صراع، لكنهم لم يعنوا بوصفه كما عنوا بتشبيه الشجاع به، وكان من أوائل من عُني بوصفه في شعره، ورده في قصائده الشاعر المخضرم أبو زبيد الطائي[1]، فقد أكثر من وصف الأسد في شعره حتى قال له عثمان بن عفان[2]رضي الله عنه:«تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت. والله إنّي لأحسبك جبانا هِدَانا[3]».

وهذه القصائد لأبي زبيد وغيره كانت ماثلة أمام علماء العربية، ورواة الشعر، ومنهم ابن دريد، الذي روى خبرًا سَاقَ فيه تباري الشعراء في وصف الأسد في مجلس يزيد بن معاوية[4]، ولا شك أن هذا مما استهواه، وهو شاعر مجيد وصَّاف قبل أن يكون عالمًا مبرزًا، فتناول الأسد واصفًا له ولنزاله مع صائديه، في قصيدة بديعة، تبين مقدرة ابن دريد الشعرية التي شهدت بها بعض أشعاره، وشهد له بها النقاد، لقد استوقفتني هذه القصيدة في ناحيتن:

---

(١) حرملة بن المنذر الطائي، شاعر أدرك طرفاً من الجاهلية، وأدرك الإسلام، لم يسلم وعاش على نصرانيته، كان مقيماً مع أخواله تغلب، وإن كان شعره يشي بخلاف ذلك، وهو شاعر محسن وصاف، مع جمال وطول فارع، وولع بالخمر وشربها، أقام بعد تمصير العراق فيه ثم انتقل إلى الجزيرة فمات قرب نهر البليخ ودفن هناك، نحو سنة ٦٠هـ. الأغاني ١٢: ١٢٧، الشعر والشعراء ١: ٢٩٢

(٢) طبقات فحول الشعراء ٢: ٥٩٤، الأغاني ١٢: ١٢٨. الهدان: الأحمق.

(٣) الهدان: الأحمق النؤوم.

(٤) نوادر القالي (ص ١٨٠)

الأولى: ترابط أجزائها وتلاحمها، مع حسن التخلص من كل غرض إلى الغرض الذي يليه، في سلاسة وتدفق.

الثاني: دقة الوصف وتناوله أدق التفاصيل، حتى تخال أنك أمام عرض مرئي، وهذا يوحي بأنه عاين الأسد ورأى قتاله مع المهاجمين، وهذا التصوير البديع الذي يأسرك صاغه بألفاظ فيها من الغريب شيء كثير، لكنه لم يخل بالناحية التصويرية، بل خدمها في تضخيم وتهويل الحدث الذي يصوره.

إن هذه القصيدة لم تظهر للقراء من قبل، بل كانت حبيسة المكتبات، حيث أثبتها ناسخ مخطوطة كتاب شرح أبيات إصلاح المنطق، فحفظ لنا كنزًا ثمينًا.

تَوْثيقُ نِسْبَةِ القَصِيدةِ

لا يمكن أن يقبل الباحث ويسلم مباشرة بنسبة القصيدة لابن دريد من دون أن يتوثق من ذلك، خاصة وأن أول ما يواجهنا وفي أول سطر من المخطوط أنه يحمل خطأً في اسمه، حيث سماه الناسخ «الحسن بن محمد» والصواب أنه محمد بن الحسن، وهو في نظري خطأ هزيلٌ، لا يؤبه به، لعدة أسباب:

١- أن الخطأ في اسمه قائم على التقديم والتأخير، وليس في الاسم نفسه.

٢- أن شهرته بابن دريد، وهي مثبتة في الاسم.

٣- ذكر ابن دريد جدَّه الأعلى مُفتخرًا بالانتماء إليه، فقال:

وَلَكِنَّـــني أُنْـــمَى إلى ....نَجْـــرَةٍ تُلَاحِـظُ أَفْـرَادَ الكَوَاكِـبِ مِـن عَـلا
بَنَاهـا أَبُـو الأَمْـلَاكِ فَهْـمُ بـن غَانـمٍ فأَعْيَـتْ على الأعْـدَاءِ أنْ تَتَحَـوَّلا

وقد ذكره في موضع آخر من شعره، فقال مُحرضًا قومه على أخذ الثأر ممن قتله الزنج منهم، يوم دخلوا البصرة سنة ٢٥٧هـ:[١]

(١) أنساب الصحاري ٢: ٧٠٧، وعنه في ديوان شعر الإمام ابن دريد (ص ١٠١)

يَــا بَــنِي مَالــكِ بــن فَهْــم قَتِيــلًا لا يُبَارِيْــهِ فِي الأَنَــامِ قَتِيــلُ

٤- القصيدة تنتظم في سلك شعره، خاصة مقصورته المشهورة، وفيهما تظهر ذاتيته، واعتداده بنفسه، وهذا ظاهر في كلا القصيدتين، وتحمل هذه القصيدة نَفَس ابن دريد الشعري، وقدرته في تطويع الغريب في بناء القصيدة، من دون أن يظهر أثر لهذا الغريب والحوشي في قوة السبك، وتسلسل الأفكار، والقدرة على التصوير.

٥- وصلنا عدة قصائد لابن دريد تسير على هذا النهج، زاوج فيها بين الغريب المقصود والشعر المنضود، وقد أبدع في هذا، ومنها قصيدته الثائية، والطائية، والقافية، وقد وصلت إلينا مخطوطة.[١]

٦- وردتْ القصيدة ملحقةً في كتاب ابن السِّيرافي، والسيرافي الأب أبو سعيد من أشهر تلاميذ ابن دريد[٢]، فقد لازمه منذ قدم بغداد وحتى موته، وروى عنه كثيرًا، فأظن وبعض الظن صادق أنه روى هذه القصيدة من فم شيخه، ثم رَوَّاها ابنه يوسف[٣] الذي كتبها في آخر كتابه، فتلقفها ناسخ الكتاب من نسخة ابن السيرافي، وأثبتها، لعلمه بأهميتها.

إن كل هذه الأسباب تدعو الباحث إلى الاطمئنان إلى نسبة هذه القصيدة لابن دريد، بل الجزم بأنها من إنشائه.

---

(١) ديوان شعر الإمام ابن دريد (ص ٤٢، ٧٢، ٨٨)

(٢) تاريخ بغداد ٢: ٥٩٤، معجم الأدباء ٢: ٨٧٦. وأبو سعيد هو الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي، قدم بغداد فأخذ عن علمائها، فأصبح من الأعلام في اللغة والنحو والرواية والقراءة والفقه، وتولي قضاء بغداد حتى توفي، وكان زاهداً يأكل من النسخ، وله مصنفات كثيرة، أشهرها شرح الكتاب. توفي ببغداد سنة ٣٦٨هـ عن ثمانين سنة. تاريخ بغداد ٨: ٣١٦، معجم الأدباء ٢: ٨٧٦

(٣) لم يدرك يوسف بن السيرافي ابن دريد، فقد كانت ولادته سنة ٣٣٠هـ. معجم الأدباء ٦: ٢٨٤٧

لماذا أَنْشأ ابنُ دريد القَصِيدةَ ؟

لكل قصيدة أو شعر مُسبباتُ إنشاءٍ، تختلفُ باختلاف ملابسات القول، وحالات الشاعر النفسية والاجتماعية التي تحيط به، وعندما نقف أمام قصيدةٍ للعَلَم ابن دريد فلا بد مِن أن نسأل أنفسنا هذا السؤال.

والباحثُ قد يجد لإنشاء هذه القصيدة سببًا أو أكثر، دَعتْ ابن دريد لتسطير هذه القصيدة، ولعل أهم سببين في ما أظن وأزعم هما:

الأول: الهدف التعليمي، حيث تبدو القصيدة للناظر من أول وهلة قصيدةً في وصف الأسد، لكنها تحمل في مفرداتها كمًّا من الغريب، الذي تعمَّدَ ابن دريد أن يوشِّي به هذه القصيدة، وهي طريقة ابن دريد في بعض شعره، بل أشهره، فالمقصورة قصيدة مدح وفخر، لكنه استطاع بما وهبه الله من طبع وصفاء قريحة ومخزون لغوي أن يجعلها قصيدة تعليمية، وفي نفس الوقت تجافت عن محيط الشعر التعليمي ومنظوماته، فكثرت شروحها التفسيرية وليست الفنية، وهذه القصيدة على مثالها، وتسير على نمطها، من استخدام التشبيه، والاستعارة والمبالغة المقبولة، وغيرها من خصائص الشعر.

إن ابن دريد يعد من النوادر الذين استطاعوا أن يأتوا بشعر يحمل غايتين تبدوان متضادتين: شعر غنائي + شعر تعليمي، بل يلوذ الهدف التعليمي خلف الإبداع الفني فلا تكاد تراه. ويؤكد هذا أن شعره التلقائي لا يجد الباحث فيه أثرًا ظاهرًا لمخزونه من غريب الألفاظ والمفرادت، لأنه لم يقصد بها هذا الهدف.

الثاني: محاكاة قصائد رواها ووعاها، فنجد خبرًا رواه تلميذه أبو علي القالي[1] عنه، وهو رواه عن شيخه أبي عثمان الأَشْنَانْدَانِيّ، وهو خبر اجتماع أبي زُبيد الطائي، وجميل بن مَعْمر، والأخطل في مجلس يزيد بن معاوية، ووصفهم الأسد، وفي الخبر سياق أشعارهم، ومن المحتمل أن تكون تلك الرواية لابن دريد أوحتْ له بصنع قصيدة في وصف

(١) نوادر القالي (ص ١٨٠)

الأسد، محاكاة لتلك الرجزيات، خاصة إذا علمنا أن لأبي زبيد قصائد عديدة في وصف الأسد، لا أشك أن ابن دريد رواها بل وتأثر بها في هذه القصيدة.

القَصِيدةُ

تقع القصيدة في ثمانٍ وستين بيتًا (٦٨)، فهي من القصائد المتوسطة الطول، ولا تقارب مقصورته التي تقع في مئتين وستة وأربعين بيتًا (٢٤٦)، وأنشأها ابن دريد على خلاف المقصورة على البحر الطويل، وهو أغزر بحور الشعر العربي.

اشتملت هذه القصيدة على عدة أغراض، هي: الحكمة، والفخر، والوصف، ونستطيع أن نقسم القصيدة إلى أربعة أقسام، هي:

القسم الأول: مقدمة القصيدة وعدد أبياته ستة عشر بيتًا. وينبئ المطلع الذي بناه على استفهام تقريري عن مآلات ابن دريد:

هَــلِ المَــرْءُ إلَّا مَــا أَفَــادَ وأفْضَــلا أَمِ الوَفْــرَ إلَّا مــا اسْــتُفِيْدَ لِيُبْــذَلا

ثم يُقيم عاذلةً يتحدث معها عن البذل والجود، متخذًا منه مدخلًا لذم جمع المال، لأن الموت سيجعل ما جمعه ميراثًا:

دَعِيْــنِي أُرَاعِي الجُــوْدَ أرْعَى سُــوَامَهُ وإنْ لــمْ أَبِــتْ إلَّا مَلُوْمًــا مُعَــذَّلا

وهذه المعاني التي يبثها إلى عاذلته متخيلة، يبسط فيها الشاعر فلسفته ونظرته للحياة، وهي من طرائق الشعراء القديمة في الشعر العربي، وقد اتخذها ابن دريد في هذه المقدمة ليبثَّ فلسفته في الحياة، هذه الفلسفة التي تقوم على أن البذل والإنفاق خير من الإمساك. تلاها أبيات سطَّرَ فيها سببَ جُوْده وكرمه وإنفاقه، وهو عُلُو منزلته، وسطوع نجمه، وهو من بَابَة الفخر، وهذه الأبيات في معانيها وفلسفتها الحياتية والفكرية تماثل حياة ابن دريد، الذي كان كريمًا يبذل ما معه، ويعيش لحظته، متمتعًا بالحياة، مع اقتران ذلك بشهرته واستفاضة فضائله.

وقد مزج في هذا القسم بين الأساليب الاستفاهمية والإنشائية والخبرية، التي جاءت تؤكد أفكاره عن الحياة التي ينبغي أن يعيشها.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى ذكر حساده، هؤلاء الحساد الذين لا يألون جهدًا في التشبه به، ومحاولة مجاراته، وتتبع سقطاته، فيقول:

يُخَاطِبُ أَقْوامٌ نَجِيَّ صُدُورِهِم ... بأنْ سَيُجَارُوْنِي سَفَاهًا مُضَلَّلا

لكن هيهات ذلك، وأنَّا لهم، فهو أبعد عنهم:

ومَا يَدَّرِي الأعداء مِمَّنْ ظَلامُهُ ... صَبَاحٌ إذَا للنَّدْر والشجاع تَزَمَّلا

ويختم هذا القسم بوصف شجاعته، وصبره على ممارسة الدهر ومصاعبه، التي تجاوزها بعزمه الذي لا يفل.

القسم الثاني: وعدد أبياته ثلاثة وعشرون بيتًا. وفيه يصف الأسد، ويهول من خَلْقه، ويصف سطوته وخوف الحيونات منه، ويصف بحثه عن طعامه وطعام أشباله. وقد أحسن التخلص من القسم الأول إلى هذا القسم بقوله:

كأَنَّ العِدَى يُرْمُونَ مِنْهُ بضَيْغَمٍ ... نَأَى أَبَوَيْهِ عِزَّةً وتَرَأْبَلا

ويحدد موقع هذا الأسد وأشباله، فيقول:

حَمَى جَانِبَيْ تَرْجٍ فأجْزَاعِ بِيْشَةٍ ... إلى الغَيْلِ مِنْ سَمْنَانَ حيثُ تَغَيَّلا

إذَا [الـ]خَيْلُ كَانتْ لا تَزالُ مُغِيرةً ... وخَيْلًا تَعَاجَى بالمَسَاعِيْرِ قُفَّلا

ويستمر في وصف هذا الأسد والتهويل منه ومن قوته، يقول:

خُبَعْثنةٌ وَرْدٌ تَخَالُ جَبِيْنَهُ ... جَنِيئًا تَرَاهُ مُطْرِقَ الأَسْرِ مُصْمِلا

يَلُزُّ حِجَاجَاهُ شِهَابَيْنَ بَذَّرا ... سَنَا كَنَفَيْ الكِيْرِ أخولَ أَخْوَلا

وقد أكثر في هذا القسم من التشبيهات، التي خص كل بيت منها بتشبيه استكمله فلم يدع فيه فضلًا، كقوله:

لهُ هَامَــةٌ كَبْسَــاءُ لَوْحَــكُ شُــعْبُها كمــا لأَمَ القَــيْنُ الصَّفِيــحَ المُمَطَّــلا
إلى عُنُــقٍ تَبْــدُو فتَحْسِــبُ أنَّــهُ يُقِــلُّ بِهَــا فَــوْقَ المَنَاكِــبِ جَيْــأَلا
كــأنَّ علــى أَكْتَــادِهِ ومَعَــدِّهِ فمُوْصِــلِ عَرْشَــيْهِ غَبِيْطًــا مُجَلَّــلا

القسم الثالث: وعدد أبياته ثلاثة وعشرون بيتًا، يصف ابن دريد فيه صراع الأسد مع جمع من الفرسان قصدوا عرينه ليصطادوه مع أشباله، مقدمًا لذلك بقوله:

فأَبْــصَرَ مُعْتَنًّــا مــنَ القُــفِّ عَارِضًــا تَمُــجُّ ثَنَايَــاهُ إلى السَّــهلِ جَحْفَــلا
فقَبَّــضَ قُطْرَيْــهِ وضَــاءَلَ شَــخْصَهُ وأَلْصَــقَ بالبَــوْغَاءِ نَحْــرًا وكَلْــكَلا

مُسَلْسِلًا تلك الوقعة ومآلها، في أبيات متوالية مترابطة، وفي نهايتها يظهر الأسد منتصرًا، قد قتلَ مَن قَتلَ منهم، وفرَّ مَن سَاعفه القَدر، يقول:

يُهَمْهِــمُ في أَكْسَــائِهِمْ وكأَنَّهُــمْ نَعَــامٌ زَهَــاهُ الرُّعْــبُ يَوْمًــا فأَجْفَــلا
وآبَ ولَــمْ يُكْلَــمْ وحَــوْلَ عَرِيْنِــهِ مَسَــاعِيْرُ سَــقَّاها الحِمَــامَ فأَنْهَــلا

وهذا المشهد الذي أبدع في وصفه وكأنه لوحة مرئية متحركة يُصَدِّقُ وصفه للأسد، وتهويله مِن أمره، كما يتوسل به إلى التخلص إلى القسم الرابع من القصيدة، وهو الفخر بنفسه، وقد أجاد في خروجه من هذا القسم، حيث قال:

فَهَذَاكَ مِنِّيْ حَيْن أَسْطُو عَلى العِدَى بأَمْضَى إذا خَطْبٌ منَ الدَّهرِ أَعْسَلا

القسم الرابع: وهو أقصر الأقسام، لكنه مرتبط بالقسم الأول، حيث استكمل به معاني الفخر التي يراها ماثلة في شخصه، وعدد أبياته سبعة أبيات، وفخر فيه بنفسه

وبمحتده العريق. وتوصل إليه بحسن خروج حين جعل من نفسه كالأسد غِبَّ هذه الوقعة، كما في البيت السابق. لكنه انتقل فجأة إلى موضع الشعر منه، فقال:

أَرَى الشِّـعرَ مَعْـنًى لا تَقبَّـضُ هِمَّـتِيْ عَليْـهِ ولا أَرْضَى بـهِ لِيَ مـنزلا

وهو انتقال لا يتفق مع حذقه في حسن الخروج من غرض إلى غرض في القصيدة، ولعله سقط بيت بين هذا البيت والذي قبله.

ولا يمكن أن يغفل الباحث عن أن ابن دريد تعمَّد أن يكون الغريبُ حاضرًا في كل أبيات القصيدة تقريبًا، وهو غريب لا يقدح في جودة القصيدة فنيًّا، وليس مما يُنْتقَدُ به، لأنه يأتي في مواضعه المناسبة، تلك المواضع التي تخدم المعنى؛ دقة في الدّلالة، وانسجامًا مع الألفاظ الأخرى المصاحبة، واتساقًا مع الموسيقى الداخلية للبيت والقصيدة، وهي ألفاظ ليس من العسير البحث عنها، فهي موجودة في المعجم، ولا يلقى القارئ عَنَتًا حين يعود إلى المعجم فيعلم تفسير اللفظ، فينجلي أمامه المعنى الذي صاغه ابن دريد، فلم يكن ورود الغريب في تضاعيف الأبيات قلقًا ولا نشازًا، بل كان منتظمًا في سلك الألفاظ الأخرى، وهو فوق ذلك يخدم النص فنيًّا. إن هذه القدرة مردها أن الشاعر ملك الطبع المواتي، والقريحة الثجاجة الصافية التي مكنته من وضع تلك الألفاظ الغريبة في مواضعها المناسبة؛ لفظًا، ومعنى، وموسيقى.

ونلحظ أن القصيدة لا تخلو من مبالغات ابن دريد، تلك المبالغات التي أراها جاوزت الحد، كقوله:

وعَلَّمَ ذِكْرِي الشَّمسَ كَيْفَ مَسِيرُها

فهي مبالغة غير مستساغة، ولا تخدم غرضه الذي ينحاه وهو الفخر، بل تشوهه، لأنها تجعل له فعلًا مستحيلًا، لأن الشمس تسير دون أن تلتفت لأحد كبيرًا كان أو صغيرًا.

ونجد في القصيدة أثر مروياته، فهو في الألفاظ ظاهر بلا مراء، بل كانت مُتَقصَّدة منه، ومرويات أخرى تظهر من موضعها الذي تغلغلت فيه في باطنه العميق، ومنها: أنه تحرز مما ذكَرَهُ العرب عن الشعر، ففي قوله:

أَرَى الشِّعرَ مَعْنًى لا تَقبَّضُ هِمَّتِيْ عَليْهِ ولا أَرْضَى بِهِ لِيَ مَنزلا
ولَوْ كَانَ مِمَّا تَسْتَرِيْحُ خَوَاطِرِيْ إلَيْهِ لَقُدْتُ الصَّعْبَ مِنْهُ مُذَلَّلا

أظن أنه نظر إلى قول زياد بن أبيه[1]: «الشعر أدنى مروءة السريِّ، وأسَرْى مُروءةِ الدَّنِيِّ». فتحرزَ من ذلك، حتى لا يكون شاعرًا شعرهُ أَسْرَى مُروءته، وإنما هو عالم جليل من بيت بسَقَ فضلُه ومجدُهُ، فالشعر أدْنَى مُروءته، وقوله هذا يناقضه ما قاله في البيت التاسع من القصيدة، وهو:

وعَلَّمَ ذِكْرِي الشَّمسَ كَيْفَ مَسِيرُها وأَصْبَحَ فَكِّي للأَوَابِدِ مَوْئِلا

فقد فخر بالشعر وجعله سلاحًا من أسلحته.

(١) البصائر والذخائر ٦: ٦١، وأورده الجاحظ في البيان والتبيين ١: ٢٤١ غفلًا.

وصْفُ المَخْطوطِ

تقع القصيدة في ذيل مخطوط كتاب «تفسير أبيات إصلاح المنطق» لأبي محمد يوسف ابن الحسن السِّيْرافِي النحوي[1]، المتوفى سنة ٣٨٥هـ، وناسخها هو ناسخ هذا الأصل، يدل على هذا أنه نسخها بنفس القلم، واستخدم الحبر نفسه، وعلى نفس الورق، وهذا الناسخ مجهول لم يثبت اسمه ولا تاريخ نسخه لها.

وهي نسخة جيدة مقابلة على الأصل المنسوخة منه، وأثبت بعد المقابلة ما سقط منه أثناء النسخ بعلامة إلحاق.

وتقع القصيدة في الورقتين (٩٧-٩٦) من المخطوط، وتشغل ثلاث ورقات، وبهما يُختم المخطوط، وعدد الأبيات في كل صفحة ثلاثة وعشرون سطرًا (٢٣)، كتبها من دون أن يفصل بين الشطرين، وكتبها ناسخها بخط النسخ الجلي الواضح، مستخدمًا قلمًا دقيقًا، وضبط بالشكل كثيرًا من الكلمات، وإن كان غير موفَّق في بعض ضبطه، وهي مواضع يسيرة، واستخدم في ضبطه لبعض الكلمات الأسلوب الاحتمالي، فوضع في بعض المواضع حركتين، كالضمة والفتحة، وهو ضبط يوافق الصواب في واحدة منهما، والثانية تكون خطأ.

أما كتابته فكانت من ناحية القواعد الإملائية تتفق مع كثير من نساخ عصره، في اضطرابه في إثبات الهمزة في جميع مواضعها، فمرة يضع مكانها فتحة فوق الألف، مثل «تضاَل، اَحين، اَن، اَذا، كاَنَّ، وغيرها، ومرات يثبتها وهذا قليل، مثل «تأثلا، وكثيرًا ما يهملها سواء كانت همزة قطع أو متوسطة، مثل «تؤثرون، أو متطرفة مثل «البوغاء». ويثبت الياء المتطرفة في مواضع ويهملها في مواضع أخرى، بل أثبتها في الموضع الخطأ في قوله «ناَي»، وغير ذلك مما لا يخل غالبًا بالقراءة الصحيحة.

---

(١) في الأصل «إبراهيم بن يوسف» ومثله في نسخة أخرى نص على ذلك محقق الكتاب (ص ٤٩)، وهو خطأ صوابه ما أثبت.

أما تاريخ نسخها فكما ذُكر آنفًا لم يثبت، فهي مجهولة الناسخ، مجهولة تاريخ النسخ، لكن خطها والتملكات المثبتة على طرتها تدل على أنها نسخة قديمة، قد ترقى إلى القرن السادس، فهناك تملك مؤرخ في سنة ٦٣١هـ، وآخر مؤرخ في سنة ٦٦٢هـ، ومنها تملك لمحمد بن أحمد المظفري، والتملك المثبت تحته يدل على أن النسخة أقدم من ذلك لأن ورقة العنوان ملحقة بالكتاب وليست بخط الناسخ، فيظهر أن المظفري تملكها وألحق بها صفحة العنوان بعد أن تلفت ورقة الأصل، فقد تكون عليها تملكات أقدم.

إذَن النسخة منسوخة قبل سنة ٦٣١هـ، ولما كان غلافها مختلف الورق والخط عن الكتاب فهذه التملكات كتبت بعد زمن من نسخها، وأظنها ترقى إلى مئة سنة أو تزيد، فعلى التقريب تكون القصيدة والمخطوط بأكمله من منتسخات أوائل القرن السادس، فبين نسخها ووفاة المؤلف نحو قرن من الزمن. وعليه فالاحتمال الذي ذكرته في توثيق نسبتها إلى ابن دريد، وهو أنها وردت ملحقة في كتاب ابن السيرافي، وكان أبوه أبو سعيد من أشهر تلاميد ابن دريد، وروى عنه كثيرًا، فقد تكون القصيدة مما رواه عن شيخه، ثم روَّاها ابنه الذي ألحقها بكتابه فنسخها الناسخ من نسخة ابن السيرافي وأثبتها، لعلمه بأهميتها.

وقد أضر بالمخطوط وخاصة أوراقه الأخيرة رطوبة أصابته، فتأثرت بعض أطراف الأوراق، فأصبحت صدور الأبيات باهتة، مما جعل القراءة عسيرة في مواضع ومستحيلة في مواضع أخرى.

صفحة العنوان من الكتاب الملحقة به القصيدة

الورقة الأولى من القصيدة

وقال الحسن محمد بن دريد يصف الأسد

هل المرء إلا ما أفاد وأهلا ... أم المرء إلا ما استعد ليسألا
دعي إذا دعي الحوادث سوامه ... وإن لم ينب إلا ملوما معدلا
فأثر مما تؤثرين بقاءه ... من المال مجدا خالدا قد تأثلا
أقابله مني المنايا إذا انتمت ... إلى النفس نزاعا إلى الخير موئلا
وعمما كتاج الخدر زوا فإنما ... تنذر للضمل العقل أن يتوقلا
أم المرء لا يفدي حشاشة نفسه ... من الموت ما حارت يداه وحولا
إذا ما دهيت الأمر تستحط العلى ... مقصرك مجتابا ترك الوجه أطحلا
أجس وسمت المجد باسمي وأوطأت ... ذرى المعالي بعد ما أرسلا
وعلم ذكري الشمس كيف مسيرها ... وأصبح مكسبي للأوابد موئلا
مخاطب أقوام بحي حذرتهم ... بأن سجاري في سفاها مصلا
وإن الفتى يرجو مقاطي منهم ... بقاء مثل يوما أو يطاير أجدلا
وما بذي لا يعدل من طلامه ... صباح إذا الليل السجاع تزملا
أتلك إذا لا يوفق أفعى بكفه ... سقى من يسافيه السماء والمنهلا
تشب الذكاء العرب منه صريمة ... إذا لهط الخطب المهول وعضلا
إذا ما استطى يوما بأرض لهول غانيا ... تقصص مطوم التساس أجزلا
وإن مارسته المقطعات انتفى لها ... عزيما إذا لاقى الصريمة مقصلا
كأن العدى يرمون منه بصيغم ... نأى أبوه عنه وتربيلا
يحمي جانبي ترج فاجراع بيشه ... إلى الغيل من سمنان حيث تعيلا
إذا جبل كانت لا تزال عمرة ... وخيلا تعاديني بالمساعة قفلا
وشد بعرعاء الهائل محذرة ... يعاشر عن شاكا السجاج وأشبلا
وعاذت الصبيان والعون منه لعدوته ... فاع الصريمة مبقلا
وجاورت الأدم الوعول لحوجه ... فما إن ترى منهم بالشفع مسهلا

إذا أبصرت أسد العرين فريسة تسربلت الأوصال منه أفكلا
حمته منه وهد حال جبينه حياء تراه مطرق الأسر مصمتا
بلش بحاجاه بنهايين بدر أسنادي الثرى أخول أخولا
له هامة كبسا لو جلك شعبها كالام القاء الضفيح المحطلا
إلى عنق تبدو فتحسب أنه يقل بما فوق المناكب جحلا
كأن على إسناده ومعقده هو صل عن شبه غبيطا مجللا
كأن وظيفيه مهيضان جبرا على عنت فاستعتبا وتنويلا
تراه إذا استدبرته نائل الصلا وعيلا إذا استقبلته زمان أفلا
أزت سوى ما جول عينيه أغطفا الحمر مجاري الدمع استجرا انجلا
يحامي حراه السائلون فلم يطرب به متعطش فرط المخافة منهلا
فأبرزه العيرتين حرشدفه وقد انقض الفرغام عنا وأرملا
فأوفى على نشز يعارض نقبه من الصبح عطلا من دجى الليل عيطلا
كأن بقايا الليل في جنباتها عصيم خضاب مس شيبا مرجلا
فلما انتضى الصبح المجلى سعاده ولاح سنا ربعانه فتكلا
دمى عرض الفضا بطرفه إلى موجل منها يعارض موجلا
بصادقة الإنسان سيان لحظها أعر كتب أم ألفت أن تاملا
فأبصر معتنا من الفق يعارضا نجم ثنايا إلى السهل يحفلا
فعبض قطريه وصال شخصه والفق بالبوغا نجرا وكلكلا
وطامن متنيه فاض بحاله خفا على ظهر الجبوب مرعبلا
فلما رآه لعصو صبوا ثم تمهلوا ينهناه منهم من تسرع أو لا
فقسم فيه لحظه غير مبجل فلما رآهم جربوه ليفعلا
تمطى بمثلى شخصه وكأنما تمد التمطي منه جبلا موصلا
وقد لحيته الناوب شاجيا جلت رجاجين لحيه مثلا

الورقة الثانية وتشتمل على بقية القصيدة ونهاية المخطوط

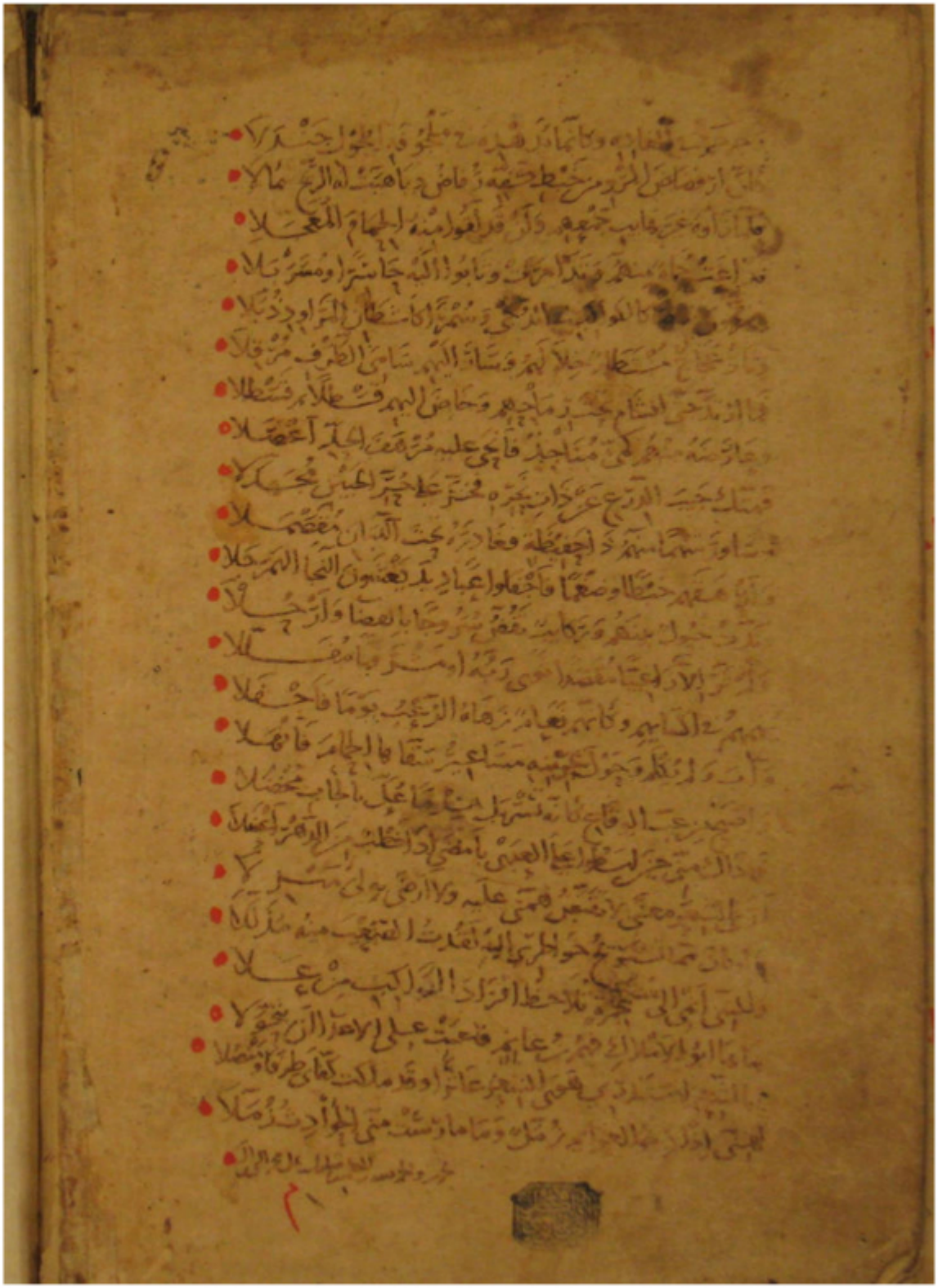

القَصِيدةُ الأُولى
في وَصْفِ الأَسَدِ

وقال محمدُ بن الحَسن بن دُرَيْد(١)، يَصِفُ الأَسَدَ: [من الطويل]

١-هَـلِ المَـرْءُ إلَّا مَـا أَفَـادَ وأفْضَـلا ... أَمِ الوَفْـرَ إلَّا مـا اسْـتُفِيْدَ لِيُبْـذَلا

٢-دَعِيْـنِي أُرَاعِي الجُـوْدَ أرْعَى سُـوَامَهُ ... وإنْ لـمْ أَبِـتْ إلَّا مَلُوْمًـا مُعَـذَّلا(٢)

٣-فآثَـرَ ممَّـا تُؤْثِـرُوْنَ بقَـاءَهُ ... مِـنَ المـالِ مَجْـدٌ خَـالدٌ قـد تَأَثَّـلا(٣)

٤-أَقَابِلَـةٌ مِـنِّي المَنَايـا إذا سَـمَتْ ... إلى النَّفْـسِ بَـرْكًا كالحَـرَاجِ مؤبِّـلا(٤)

٥-وعَمًّـا كأَثْبَـاجِ الحِـرَارِ رَوَافِهًـا ... تَبُـذُّ الصُّمُـلَّ العَبْـلَ أنْ يَتَوَقَّـلا(٥)

٦-أَمِ المَـرْءُ لَا يَفْـدِيْ حشَاشَـةَ نفْسِـهِ ... مِـنَ المَوْتِ مـا حَـازتْ يَدَاهُ وخُـوَّلا(٦)

٧-إذَا مَـا رَضِيْـتَ الأَمْـرَ تَسْـخَطُهُ العُـلَى ... فقَـصْرَكَ نَجْهًـا يَـتْرُكُ الوَجْـهَ أَطْحَلا(٧)

---

(١) في الأصل «الحسن بن محمد» وهو خطأ.

(٢) السوام: الإبل التي ترعى حيث شاءت، ويعني أن تدعه يعمل ما بدا له في جمع المال وإنفاقه. معذل: في الأصل بالدال، وهو تصحيف. والمعذل: الذي يقع عليه اللوم والعذل ممن حوله.

(٣) آثر: أبقى أثرة من الحمد والثناء. تأثل: كثرُ ماله، وصار هو أصله ومبتدأه لمن بعده من ورثته.

(٤) سمت: ارتفعت حتى أدركت الروح خارجة. البرك: الإبل التي تروح لقطين البدو كلهم، كثيرةً كانت أو قليلة. الحراج: جمع حَرَجة، وهو الشجر المجتمع الكثير. مؤبل: الرجل الذي كثرت إبله.

(٥) العم: ضَبط الناسخ العين بالضم، والصواب أنها مفتوحة، والعم: الجماعة الكثيرة. الأثباج: جمع ثَبَج، وهو أعلى ظَهْر كل شيء. الحرار: جمع حَرَّة، وهي الأرض السوداء. الروافه: جمع رافه، وهي الإبل التي تشرب كل يوم. الصمل: الشديد الخَلْق العظيم. العبل: الضخم. يتوقل: يصعد فوق مرتفع.

(٦) الحشاشة: بقية الرمق من الروح ينازعها الإنسان. خول: ما ملكته يده من نعمة.

(٧) قصرك: يقصركَ على الأمر فلا تجاوزه. النجه: نَجَهْتُ الرجلَ: لقِيتُه بما يكرَهُ. أطحل: لون فيه خضرة، وهو يعني به هنا السواد، لأن العرب تسمي الأسود أخضرَ.

٨-أَحِينَ وَسَمْتُ المجدَ باسْمِيْ وأَوْطَنَتْ ذُرَايَ المَعَالِي بعدَما كُنَّ سُهْمِلا[١]

٩-وعَلَّمَ ذِكْرِي الشَّمسَ كَيْفَ مَسِيرُها وأَصْبَحَ فَكِّي للأَوَابِدِ مَوْئِلا[٢]

١٠-يُخَاطِبُ أَقْوامٌ نَجِيَّ صُدُورِهِم بأَنْ سَيُجَارُوْنِي سَفَاهًا مُضَلِّلا[١٠]

١١- وإنَّ الذي يَرْجُو سِقَاطِيَ مِنْهُمُ يُقَامِسُ نُوْنًا أو يُطَايِرُ أَجْدَلا[١١]

١٢-ومَا يَدَّرِي الأعداء مِمَّنْ ظَلامُهُ صَبَاحٌ إذَا للنَدْرِ والشُّجاع تَزَمَّلا[١٢]

١٣-[و]إنَّكَ إذا الإبْرَنْقُ أَقْعَى بكَفِّهِ سَقَى مَنْ يُسَاقِيْهِ السِّمَامَ المُثَمَّلا[١٣]

١٤-يَشُبُّ الذَّكاءُ الغَرْبُ منْهُ صَرِيْمَةً إذا أَبْهَظَ الخَطْبُ المَهُوْلُ وأَعْضَلا[١٤]

١٥-إذَا مَا امْتَطَى يَوْمًا مِنَ الهَوْلِ غَادِيًا تَقَضْقَضَ مَحْطُومَ السَّنَابِسِ أَجْزَلا[١٥]

---

(١) سهمل: كذا في الأصل، ولم أجد لها ذكرا في المعاجم، ومنها الجمهرة. ولعلها تحريف «هُمَّلا»، وبها يستقيم الوزن والمعنى.

(٢) الأوابد: جمع آبدة، وهو الغريب من الكلام. ويعني بذلك الشعر.

(١٠) النجي: السر الذي يكون بين اثنين، والقصد هنا أن أعداءه يخاطبون أنفسهم، فلا يجرؤون على البوح به جبناً وخوفاً.

(١١) سقاطي: الفعل الذي يبدر من الإنسان فيلحقه باللئام. يقامس: يغوص في الماء. النون: الحوت. يطاير: يسابق. الأجدل: الصقر، وهي من صفاته.

(١٢) يدري: يخاتل. «اللندر» هذه أقرب قراءة لها، ولندر الشجاعُ: زال عن مكانه. تزمل: إمَّا أنه جمع ثيابه وسكن مكانه، أو بمعنى اشتدَّ عَدْوه هُرباً.

(١٣) ما بين معقوفتين يقتضيها الوزن. الإبرنق: اسم سيفه في ما يظهر. أقعى: اشتملت يده على مقبضه، فأقعى بيده منتصباً. المثمل: السم المنقع.

(١٤) الذكاء الغرب: الذكاء الحاد النشط. الصريمة: العزيمة التي تصرم الأمر. أبهظ: ثقل وألجأه إلى المشقة.

(١٥) الهول: الأمر المخوف. تققض: تفرق وتكسر. السنابس: جمع سنبس، وهو السريع .

١٦-وإنْ مَارَسَتْهُ المُفْظِعَاتُ انْتَضَى لها عَزِيْمًا إذا لَاقَى الصَّرِيْمَةَ مُقْصِلا[١]

١٧-كأنَّ العِدَى يُرْمُوْنَ مَنْهُ بضَيْغَمٍ نَأَى أَبَوَيْهِ عِزَّةً وتَرَيْبَلا[٢]

١٨-حَمَى جَانِبَيْ تَرْجٍ فأجْزَاعِ بِيْشَةٍ إلى الغَيْلِ منْ سَمْنَانَ حيثُ تَغَيَّلا[٣]

١٩-إذَا [الـ]ـخَيْلُ كَانَتْ لا تَزالُ مُغِيرةً وخَيْلًا تَعَاجَى بالمَسَاعِيْرِ قُفَّلا[٤]

٢٠-وشَذَّبَ عَنْ أغْيَالِها كُلَّ مُخْدَرٍ يُعَاشِرُ عِرْسًا كالشَّجَارِ وأشْبُلا[٥]

---

(١) المفظعات: جمع فضيع، وهو الأمر إذا اشتد وجاوز مقداره. الصريمة: العزيمة. المقصل: القاطع.

(٢) الضيغم: من أسماء الأسد، وجعله مشبهاً لأنه لم يبلغ من عمره عمر الضيغم المكتمل. تريبلا: أصبح رئبالاً، وهو الأسد، وترك الهمز لغة في الرئبال. فهو قد ترك أبويه لما آنس من نفسه من قوة وسطوة، فاستقل بعرين له. وهو يصف نفسه بأنه مثله.

(٣) تَرْج: وادٍ كبير لا زال على اسمه هذا، يأخذ مياهه من مرتفعات السروات ويصب في وادي بيشة، في جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وكان الطريق التجاري من مكة إلى اليمن يمر به، وكان كثير الأسود حتى ضرب المثل به فقيل «أجرؤ من الماشي بترج». المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية منطقة عسير ٢: ٢٠٦ الأجزاع: ضبطها بالفتح، وهو خطأ. والأجزاع: جمع جزع، وهو مُنحنى الوادي. بيشة: بلدة عامرة في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية، وكانت عامرة قديماً ولا زالت، وتقع على سفوح جبال السروات من ناحية الشرق، وتقع جنوب مكة بنحو ٤٠٠ كيل. وكانت بيشة وما حولها مشهورة بالأسود، لها ذكر في الشعر القديم، أما الان فلا وجود لهذه الأسود بها. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية منطقة عسير ٢: ٢١٧، معجم البلدان ١: ٥٢٩ الغيل:الماء الذي يجري على وجه الأرض. سمنان: اسم لعدة مواضع، ولعله الذي ذكره زياد بن منقذ حين ذكر صنعاء لأنه في مناطق جنوب المملكة، لأن المواضع الأخرى ليست بمحل أسود. تغيل: جعل الشجر الملتف غيلا له، وعريناً يقيم فيه.

(٤) في الأصل «حيل» وهو تصحيف، وزيادة لام التعريف ليستقيم الوزن والمعنى. تعاجى: تميل في عَدْوها. المساعير: جمع مِسْعَار، وهو الذي تُسَعَّرُ به نار الحرب من الرجال. قفل: عائدة. يذكر أنهم كانوا عائدين من غزوة لهم.

(٥) شذب: ظهر. أغيالها: جمع غِيل، وهو الشجر الكثير الملتف. المخدر: الأسد الخادر في عرينه. الشجار: مركب يوضع على الراحلة لا سقف له، وهو دون الهودج. يصف اللبوة بالضخامة.

٢١-وغَادَرَتْ الصِّـيْرانُ والعُـوْنُ هَيْبَـةً لِعَدْوَتِـهِ قَـاعَ الصَّرِيْمَـةِ مُبْقِـلا[١]

٢٢- وجَـاوَرَتِ الأُجْـمَ الوُعُـوْلَ لِخَوْفِـهِ فمَـا إنْ تَرَى مِنْهُنَّ بالسَّـفْحِ مُسْـهِلا[٢]

٢٣- [١/ب]إذَا أَبْـصَرَتْ أُسْـدُ العَرِينِ فَرِيْسَـةً تَسَرْبَلَـتِ الأوْصَـالُ مِنْهُـنَّ أفْـكُلا[٣]

٢٤-خُبَعْثَنَـةٌ وَرْدٌ تَخَـالُ جَبِيْنَـهُ جَنِيئًـا تَـرَاهُ مُطْـرِقَ الأَسْرِ مُصْمِـلا[٤]

٢٥- يَلُـزُّ حِجَاجَـاهُ شِـهَابَيْنَ بَـذَّرا سَـنَا كَنَـفَيْ الكِـيْرِ أَخْـوَلَ أَخْـوَلا[٥]

٢٦-لهُ هَامَـةٌ كَبْسَـاءُ لَوْحَـكُ شُـعْبُها كمـا لأَمَ القَـيْنُ الصَّفِيـحَ المُمَطَّـلا[٦]

---

(١) الصيران: بقر الوحش، وحدتها صِوَار. العون: ما دون المسنة والبكر من النساء والبهائم. عدوته: عدوانه على غيره. الصريمة: القطعة من الرمل منصرمة عن سائر الرمل. مبقل: ضبطها في الأصل بفتح الباء وتشديد القاف، وعليه فالوزن يختل. والمبقل: الأرض التي نبت بقلها. فالبقر صغيرها وكبيرها تركت مرعاها مع أنه أول الربيع، وهي مشفقة من تركه خوفاً من سطوته.

(٢) الأجم: جمع أجمة، وهي الشجر الكثيف الملتف. مسهل: الذي يقصد السهل من الأرض. ويعني أن الوعول توارت بين الأشجار، فلم تنزل السهل المعشب خوفاً منه.

(٣) في الأصل «فريسَهُ». الأفكل: الرعدة.

(٤) الخبعثنة والورد: الأسد. الجنيئ: المُكِبُ على الشيء. يصف جبين الأسد بانه بارز، فيحمي عينيه. مطرق: قَوِيّ. الأسر: الخَلْق. المصمل: المكتنز في صلابة واشتداد. وهي صفات تدل على القوة والفتوة.

(٥) بذَّرا: أسرفا، يعني في امتدادهما. الكير: ما يَنفخ به الحداد النارَ. أخول أخولا: مُتفرقين. يقول: إن حِجاجاه كأنهما لُزَّا بشهابين، فهما يوقدان كجانبي الكير.

(٦) الهامة: أعلى الرأس. كبساء: أثبت الهمزة، والصواب التسهيل ليستقيم الوزن. والكبساء: المستديرة العظيمة، التي أشرفت على هامته. لوحك: تَدَاخَلَ بعضها في بعض. شعبها: أطرافها. لأم: طُرِقَتْ حتى دخل بعضها ببعض فانبسطت. القين: الحداد. الممطل: كتب فوقها في الأصل» الممدود»، وهو كل ما امتد وطاوع معك فهو ممطل.

٢٧-إلى عُنُقٍ تَبْدُو فتَحْسِبُ أنَّهُ يُقِلُّ بِهَا فَوْقَ المَنَاكِبِ جَيْأَلا[١]

٢٨-كأنَّ على أَكْتَادِهِ ومَعَدِّهِ فمُوْصِلِ عَرْشَيْهِ غَبِيْطًا مُجَلَّلا[٢]

٢٩-كأنَّ وَطِيْفَيْهِ مَهِيْضَانِ حُبِّرَا على عَنَتٍ فاسْتَعْثَمَا وتَزَيَّلا[٣]

٣٠-تَرَاهُ إذَا مَا اسْتَدْبَرْتَهُ نَاثِلَ الصِّلا وعَبْلًا إذا اسْتَقْبَلْتَ رَيَّانَ أَفْتَلا[٤]

٣١-أَزَبَّ شَوًى مَا حَوْلَ عَيْنَيْهِ أَغْطَفًا أَحَمَّ مَجَارِي الدَّمْعِ أسْحَرَ أنْجَلا[٥]

٣٢-تَحَامَى جِرَاهُ السَّابِلُونَ فَلَمْ يَطِرْ بِهِ مُعْطِشٌ فَرْطَ المَخَافَةِ مَنْهَلا[٦]

---

(١) الجيأل: الضبع.

(٢) الأكتاد: جمع كَتَد، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر. معده: بطنه. عرشيه: ركناه وجانباه. الغبيط: الرحل يُشد فوق الراحلة، وهو كالهودج. وهذا الأسد الغاية في الضخامة بهذا الوصف.

(٣) الوطيفان: التثنية للحجابين، والوطف: كثرة شعر الحاجبين والعينين. مهيضان: مكسوران. حبرا: رُسِما. على عنت: على قَسْر وجَبْر. استعثم: من العَثَم، وهو الاعوجاج. تزيل: زال عن موضعه. وكثرة شعره في هذه المواضع دليل على أن مقاتله من السباع والأسود لا يصل إليها لقوته وضخامة جسده، فبقي موفوراً.

(٤) الناثل: الذي حمل اللحم. الصلا: العظم الذي عليه الإليتان. العبل: الضَّخم. أفتل: مجدول شديد الأَسْر. يصفه بالضخامة من أي موضع نظرت إليه منه.

(٥) الأزب: كثير الشعر. الشوى: قُحْف الرأس، ويعني به الرأس. الأغطف: طويل الأهداب. أحم: أسود. أسحر: عظيم السَّحَر، وهو الصدر. أنجل: واسع العينين.

(٦) في الأصل جعل «به» في الصدر والصواب ما أُثبت. تحامى: ترك الأمر خوفاً وخشية. جراه: جمع جري، وهو الشبل. السابلون: المارون على طريقه. يطر: يسرع. معطش: الذي أدركه العطش الشديد. يقول: إن السائرون يتحامون المرور على أشباله خوفاً وخشية منه ولو لم يكن موجوداً، حتى وإن بلغ منهم العطش مبلغاً ليصلوا إلى المنهل.

٣٣-فأَبْـرَزَهُ العِرِّيْـسُ في نَحْـرِ سُـدْفَةٍ وقـد أَنْفَـضَ الـضِّرْغامُ غَتَّـا وأَرْمَـلا[١]

٣٤-فـأَوْفَى على نَـشْزٍ يُعَـارِضُ نُقْبَـةً منَ الصُّبحِ عَطَّتْ مِنْ دُجَى اللَّيلِ غَيْطَلا[٢]

٣٥-كأنَّ بَقَايـا اللَّيـلِ في جَنَبَاتِهـا عَصِيْـمُ خِضَابٍ مَـسَّ شَـيْبًا مُرَجَّلا[٣]

٣٦-فلَمَّـا انْتَـضَى الصَّبْـحُ المُجَـلِّيْ شُـعَاعُهُ ولَاحَ سَـنَا رَيْعَانِـهِ فتَـأَكَّلا[٤]

٣٧-رَمَى عُـرُضَ الفَضَـا طُـرًّا بطَرْفِـهِ إلى هَوْجَـلٍ مِنْهـا يُعَـارِضُ هَوْجَـلا[٥]

٣٨-بصَادِقَـةِ الإنْسَـانِ سِـيَّانَ لَحْظُهـا أَعَـنْ كَثَـبٍ أمْ كُلِّفَـتْ أنْ تَأَمَّـلا[٦]

٣٩- فأَبْـصَرَ مُعْتَنًّـا مـنَ القُـفِّ عَارِضًـا تَمُـجُّ ثَنَايَـاهُ إلى السَّـهلِ جَحْفَـلا[٧]

---

(١) العريس: مأوى الأسد بين الشجر، ويعني به من به من أشباله. نحر: مقدمة. السدفة: الظلام. أنفض: كثر ولده. الغت: تبع بعضهم بعضاً في الولادة. أرمل: نفد طعامه. يصف الأسد وقد أدركه وأدرك أشباله الكُثر الجوع فخرج من مأواه يطلب الطعام، وقد عمّ الظلام.

(٢) النشز: ما ارتفع من الأرض. النقبة: الطريق في الجبل. عطت: شقت. الغيطلة: الظلمة. يصف الأسد وانتظاره فريسة تأتي من النقبة ليصادها حتى أدركه انبلاج الصبح.

(٣) العصيم: ما بقي من الحناء من أثرٍ في اليد. مس: قد تقرأ مش، وهي توافق المعنى، لأن المش الاختلاط أو مسح الشيء باليد.

(٤) انتضى: خلع واستبان. الريعان: أوله. تأكل: أكل الليلَ النهارُ بضوءه.

(٥) «طرًّا» سقطت من المتن فاستدركها في الهامش بعلامة إلحاق. الفضاء: جعل فوقها علامة المد دليلًا على ثبات الهمزة، وإذا أثبتت يختل الوزن، فالأصوب التسهيل. الهوجل: المفازة الواسعة التي لا عَلَم فيها. والذي رمى هو الأسد يتطلب فريسة.

(٦) صادقة الإنسان: عين الأسد، وهو كناية عن حدة النظر. يصفها باستواء النظر في حالتي التراخي وحالة التحديد.

(٧) المعتن: الظاهرُ أمامَهُ. القف: ما غلظ من الأرض. الثنايا: جمع ثنية، وهي الطريق في الجبل. الجحفل: الجمع الكثير. وبدأ هنا في وصف صائدي الأسد من الرجال.

٤٠-فقَبَّــضَ قُطْرَيْــهِ وضَــاءَلَ شَــخْصَهُ وأَلْصَــقَ بالبَــوْغَاءِ نَحْــرًا وكَلْــكَلا[١]

٤١-وطَامَــنَ مَتْنَيْــهِ فَــآضَ تَخَــالُهُ خَفَــاءً على ظهــر الجَبُــوْبِ مُرَعْبَــلا[٢]

٤٢-فلَمَّــا رَأَوْهُ اعْصَوْصَبُــوا ثُــمَّ نَهْنَهُــوا فيَهْمَــاهُ مِنْهــمْ مَــنْ تَــسَرَّع أَوَّلا[٣]

٤٣-فقَسَّــمَ فِيْهــمْ لَحْظَــةً غَــيْرَ مُعْجِــلٍ فلَمَّــا رَآهُــمْ حَرَّبُــوْهُ لِيُقْبِــلا[٤]

٤٤-تَمَطَّــى بمِثْــلَيْ شَــخْصِهِ فكأَنَّمــا يَمُــدُّ التَّمَطِّــيْ مِنْــهُ حَبْــلًا مُوَصَّــلا[٥]

٤٥-وفَــكَّكَ لِحْيَيْــهِ التَّثَــاؤُبُ شَــاحِيًا فخِلْــتَ زُجَاجًــا بَــيْنَ لِحْيَيْــهِ مُثَّــلا[٦]

٤٦-[٢/أ] وجَرْجَــرَ... في الغَــارَةِ وكأَنَّمــا يُدَهْــدِهُ في مَلْحُوْفَــةِ الجُــوْلِ جَنْــدَلا[٧]

---

(١) قبض: ضم. قطريه: جانبيه. البوغاء: التراب اللين المستدق. النحر: موضع القلادة من الصدر. الكلكل: الصدر كله. وهذا منه كمون وتخفٍ حتى لا يراه الجمع الذي هبط من السهل، واستعداد لهم.

(٢) متنيه: واحدها «متن»، وهو الظهر، وثنَّاه لأن له جانبان من جهتي الفِقار. آض: تغير من حال إلى حال. خفاء: مختفياً من شدة تطامنه. الجبوب: وجه الأرض. مرعبل: مقطع.

(٣) جعل ذيلا لألف «نهنهوا» فأصبحت كأنها «له». أعصوصبوا: أصبحوا عُصباً مجتمعين. نهنهوا: كفوا عن الحركة. يهماه: جرى.

(٤) قسم لحظه: أجال النظر في ما بينهم. وأكد هذا بقوله «غير معجل». حربوه: استعدوا لحربه، وكأنهم يدعونه لقتالهم.

(٥) تمطى: مد أعضاء جسمه، فأصبح كالحبل في طوله وامتداده.

(٦) الشاحي: الذي يفتح فمه. مثَّل: ماثلة للعيان. شبه أسنانه بالزجاج حِدَّة ولمعاناً.

(٧) سقطت كلمة من الصدر فاستدركها في الهامش فلم تتضح لي. جرجر: أصلها للبعير حين يهدر، واستعارها لصوت الأسد وهمهمته حين يَهِمُّ بالوثوب. يدهده: يقذف. الملحوفة: أصله إذا جاوز القمر النصف قيل محلوف، فاستعارها هنا لمنتصف الجول، والجول: عُرْض الجبل وجانبه. الجندل: الحجارة بمقدار رأس الإنسان.

٤٧- كأَنَّ ارْفِضَاضَ المَرْوِ مِن خَبْطِ كَفِّهِ رُفَاضُ دَبًا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ مُألا[١]

٤٨- فلما رَأَوْهُ غَيْرَ هَائِبٍ جَمْعِهِمْ وأنْ قدْ لَقُوا مِنْهُ الحِمَامَ المُعَجَّلا

٤٩- تَدَاعَتْ حُمَاةٌ مِنْهُمُ وتَذَامَرَتْ وثَابُوا إليْهِ حَاسِرًا ومُسَرْبَلا[٢]

٥٠- يُمِرُّونَ سُهْمًا كالكَوَاكِبِ في الدُّجَى وسُمْرًا كأَشْطَانِ المَرَاوِدِ ذُبَّلا[٣]

٥١- وثَارَ عَجَاجٌ مُسْتَطَارٌ خِلَالَهُمْ وسَارَ إليْهِمْ سَامِيَ الطَّرْفِ مُرْقِلا[٤]

٥٢- فمَا ارْتَدَّ حتَّى انْشَامَ تَحْتَ رِمَاحِهِمْ وخَاضَ إليْهِمْ قَسْطَلًا ثمَّ قَسْطَلا[٥]

٥٣- وعَارَضَهُ مِنْهُمْ كَمِيٌّ مُنَاجِدٌ فأنْحَى عليْهِ مُرْهَفَ الحَدِّ أعْصَلا[٦]

٥٤- فَهَتَّكَ جَيْبَ الدِّرْعِ عنْ ذَاتِ نَحْرِهِ فخَرَّ على حُرِّ الجَبِيْنِ مُجَنْدَلا[٧]

---

(١) ارفاض: تفرق. المرو: حجارة براقة بيضاء. رفاض: تفرق. الدبا: صغار الجراد. مأل: مائلة.

(٢) «منهم» فوقها «له». تذامر: حضَّ بعضهم بعضاً. ثابوا: رجعوا إليه. المسربل: من لبس الدرع فقد تسربل به.

(٣) «يمرون سُهماً» قراءة اجتهادية لما بقي من رسم الكلمتين، فقد أضرت الرطوبة وطغيان الحبر عليهما. السُّهم: جمع سهم، والجمع الشائع «سهام». الأشطان: الحبال الطويلة. المراود: جمع مرود، وهو الميل الذي يكتحل به، ويشبه به الرماح في دِقَّة أسنتها وحِدَّةِ رأسها واستقامتها. الذبل: جمع ذابل، وهو الدقيق الحاد.

(٤) خلالهم: بينهم، وهذا من شدة القتال بينهم. سامي الطرف: رافعاً بصرهم إليهم. المرقل: المسرع. وهذا دليل على إقدامه وشجاعته.

(٥) فما ارتد: وصف لحالته عندما أرقل إليهم. انشام: أصبح يُرَى. القسطل: الغبار. وهو وصف لإقدامه عليهم على أن الغبار يحول بينه وبينهم.

(٦) المناجد: ذو البأس والنصرة، ومفردها نِجَدٌ. المرهف: رقيق الحد. الأعصل: السهم المعوج، وهو يصف مخلبه، لأنه معوج حاد.

(٧) لبس الدرع من الفارس دليل على استعدادهم له. هتك: جذب وشق طائفة منه. المجندل: من وقع على الأرض منطرحاً.

٥٥- وسَــاوَرَ شَــهْمًا مِنْهُــمُ ذَا حَفِيْظَــةٍ فغَــادَرَهُ تَحْــتَ اللُّبَــانِ مُقَصْمَــلا[١]

٥٦- وأَرْهَقَهُــمْ خَبْطًــا وضَغْمًــا فأَجْفَلُــوا عَبَابِيْــدَ يَغْشَــوْنَ النَّجَــاءَ المُرَحَّــلا[٢]

٥٧- فَكَــرَّتْ خُيُــولٌ بَيْنَهُــمْ ورَكَائِــبٌ تَقُــضُّ سُرُوْجًــا بالغِضَــابِ وأَرْحُــلا[٣]

٥٨- ولَــمْ تَــرَ إلَّا زَاغِبِيًّــا مُقَصِّــدًا ثَــوَى رَبَّــهُ أوْ مَــرَّ فِيْنَــا مُفَلَّــلا[٤]

٥٩- يُهَمْهِــمُ فِي أَكْسَــائِهِمْ وكأَنَّهُــمْ نَعَــامٌ زَهَــاهُ الرُّعْــبُ يَوْمًــا فأَجْفَــلا[٥]

٦٠- وآبَ ولَــمْ يُكْلَــمْ وحَــوْلَ عَرِيْنِــهِ مَسَــاعِيْرُ سَــقَّاها الحِمَــامَ فأَنْهَــلا[٦]

٦١- وأَصْبَــحَ مِــنْ غِــبِّ الوِقَــاعِ كأَنَّــهُ تَسَرْبَــلَ هِذْمًا عُــلَّ بالجَــأْبِ مُخْضَلا[٧]

٦٢- فَهَــذَاكَ مِــنِّيْ حَــيْنَ أَسْــطُو عَلى العِــدَى بأَمْضَى إذا خَطْبٌ منَ الدَّهرِ أَعْسَلا[٨]

---

(١) ساوره: تناول رأسه. اللبان: الصدر، ويعني به صدر الأسد. قصمل الشيء: كسره وقطّعه. أصبح هذا الشهم الذي ساوره تحت صدره مكسر العظام مقطّع اللحم.

(٢) أرهقهم: غشيهم ولحق بهم. الخبط باليد، والضغم بالأسنان. أجفل: هرب. عبابيد: لا واحد لها، وهي الخيل تتفرق في ذهابها وإيابها.

(٣) تقض: تدق وتحطم. والتي تقض السروج الخيلُ.

(٤) الزاغبي: رمح. مقصد: مُكسَّر. ثوى: وقد تقرأ نوى، فهي غير واضحة، وهي كناية عن الموت. مفلل: مهزوم، وفل الجيش: ما بقي منه بعد الهزيمة.

(٥) يهمهم: يصدر صوتاً كالكلام الخفي. أكسائهم: جمع كُسيْ، وهو قفا كل شيء ومؤخرته. زهاه: حرَّكه. أجفل: هرب.

(٦) العرين: كتبها في الهامش تأكيداً. والعرين مأوى الأسد. المساعير: جمع مِسْعَر، وهو الذي يسعر الحروب، ولا يكون إلَّا شجاعاً، ويعني بهم الرجال الذين هجموا عليه. أنهل: شرب من دمائها.

(٧) الغب: أن ترد الإبل يوماً بعد يوم، فجعل ولوغه في دمهم ورداً. الهذم: القطعة. عل: سُقي مرة بعد مرة. الجأب: الطين الأحمر. يصف أثر دمائهم في جسده.

(٨) هذاك مني: وصف لحالته، فهي كحال الأسد مع صائديه. الحين: الموت. أعسل: اشتد. وأحسن التخلص من وصف الأسد إلى ذكر نفسه والفخر بها.

٦٣- أَرَى الشِّـعرَ مَعْـنًى لا تُقَبِّـضُ هِمَّـتِيْ عَلَيْـهِ ولا أَرْضَى بـهِ لِيَ مـنزلا[١]

٦٤- ولَـوْ كَانَ مِمَّـا تَسْـتَرِيْحُ خَوَاطِـرِيْ إلَيْـهِ لَقُـدْتُ الصَّعْـبَ مِنْـهُ مُذَلَّـلا[٢]

٦٥- ولَكِنَّـني أُنْـمَى إلى [خَـيْرِ] نَجْـرَةٍ تُلَاحِـظُ أَفْـرَادَ الكَوَاكِـبِ مِـن عَـلا[٣]

٦٦- بَنَاهـا أَبُـو الأَمْـلَاكِ فَهْـمُ بـن غَانـمٍ فأَعْيَـتْ على الأَعْـدَاءِ أنْ تَتَحَـوَّلا[٤]

٦٧-[أَبَـا الشِّـعْرُ].... تُرْدِي هَوَى الشعر عَاثِرًا و قدْ مَلَكَـتْ كَفَّايَ طَرْفًـا ومِنْصَلا[٥]

٦٨- تَهَـنَّى إذْ لا .....العوائـدُ زُمَّـلٍ ومَـا مَارَسَـتْ مِـنِّي الحَـوَادِثُ زُمِّـلا[٦]

تمت بحمد الله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وآله.

---

(١) «الشعر» هذه أقرب قراءة للرسم توافق المعنى، ويعني به أن الشعرَ ليس منتهى همته ليكون ممسكًا به معتنياً به. تقبض: يمسكه بقبضته.

(٢) الصعب: غير المنقاد من كل شيء. فهو يجعل الشعر من أدنى اهتماماته، ولو كان خلاف ذلك لكان موضع شعره فوق ذلك بكثير.

(٣) ما بين معقوفتين كلمة استدركها الناسخ فوق السطر لكنها غير واضحة بفعل الرطوبة، ولعلها ما أُثبت، فهي تقارب ما بقي من الرسم والمعنى. النجر: الأصل والمحتد. من علا: كناية عن الارتفاع والسمو، فهي فوق الكواكب.

(٤) فهم بن غنم بن دَوْس الأزدي، جدُّ البطن الذي ينتمي له ابن دريد، وهو من قبيلة الأزد. تاريخ بغداد ٢: ٥٩٤، إنباه الرواة ٣: ٩٢، الأنساب للصحاري ٢: ٧٣٧

(٥) الصدر جل كلماته غير واضحة من أثر الرطوبة، وما أثبت ما بين معقوفتين أقرب قراءة للرسم والمعنى، والنقط كلمة لم استظهرها.

(٦) الصدر جل كلماته غير واضحة من أثر الرطوبة. الزمل: الرجل الضعيف.

القَصِيدَة الثانيةُ

الشَّطْرَنْجِيَّةُ

توطئة

لا نعلم على التحديد من الذي بدأ باستخدام المزدوج في الشعر العربي، ولعل الجاحظ[1] من أول من ميزه عن الرجز، مما يعني أنه لا يقوم على التصريع فقط كما في الرجز وإنما هو مختلف عنه وهذا الاختلاف في وجهين:

الأول: أن الشعر المزدوج لا يلتزم بوزن معين، وإنما يركب كثيرًا من الأوزان نظريًّا، ويفضل بعضها عمليًّا.

الثاني: طريقة الشعر المزدوج الالتزام بتصريع كل مشطورين فقط، مع عدم الالتزام بوحدة قافية المزدوجة، وهو بهذا يختلف عن قصيدة الرجز[2] التي تلتزم بوحدة القافية للأرجوزة.

ولعل أقدم نص ورد على هذا الشكل «الشعر المزدوج» قصيدة منسوبة للوليد بن يزيد (ت١٢٦هـ)، التي نظمها على المزدوج[3]، ولقرب عصر الوليد ممن اشتهروا بالشعر المزدوج[4] فإن المدة الزمنية قصيرة بينه وبين من اشتهروا بنظم المزدوج.

أصبح الشعر المزدوج لسهولة نظمه سبيل الناقلين المنثورَ للمنظوم، فقام أبان اللاحقي (نحو ٢٠٠هـ) بنظم كليلة ودمنة على المزدوج[5] وهو ما نجد نموذجًا منه في ما أورد

---

(١) البيان والتبيين ٣: ٢٩

(٢) يلتبس على بعضنا قصيدة الرجز وبحر الرجز، وبينهما اختلاف كبير، لأن قصيدة الرجز فن شعري يطلق على من يعانيه «رجَّاز» وهو ما وعاه ابن سلام فجلهم طبقة من طبقات شعرائه، وتأتي قصيدة الرجز على بحر الرجز بكافة صوره؛ مجزوءاً ومشطوراً ومنهوكاً، وتأتي على البحر السريع، أما بحر الرجز فهو وزن شعري يأتي عليه الرجز والقصيد.

(٣) الأغاني ٧: ٥٧

(٤) ممن برع في المزدوج وأشاعه بشار بن برد. البيان والتبيين ١: ٤٩

(٥) أخبار الشعراء المحدثين ص ٢

الصولي[1] من تلك الأشعار، وتبين هذه النماذج أنها من الرجز، وقد تطور هذا النمط المسمى المزدوج، فظهر نوع آخر، يقع كل جزء منه في أربعة مشطورات، أي من قطعة تقع في بيتين، نجده في وصف أبي نواس لشعر وضعه حماد عجرد للزنادقة يصلون به[2]: «وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين». وهذه أقدم إشارة للقصيدة الرباعية، وهي التي بنى عليها ابن دريد قصيدته هذه، وفي حقبة ابن دريد ظهرت قصيدة رباعية طويلة، وهي قصيدة مُدْرِك الشَّيْبانِيّ[3]، وهو معاصر لابن دريد، كما انتشر هذا النمط من الشعر بين العامة، فقد نقل المحسن التَّنُوْخِيُّ[4] المتوفى سنة ٣٨٤هـ أن صوفيًّا كان عنده يَترنَّمُ بشيء من الرُّباعيات، فلم ترق لصاحبه الآخر، مما يدل على شيوع الرباعيات بين طبقات الناس، وأنها أصبحت متداولة.

وقد نلحظ أن نمط الرباعيات أقل شيوعًا من المزدوج، الذي أصبح مَرْكبًا لكثير من المنظومات التعليمية[5]، بخلاف الرباعيات التي اختص بها الشعر أكثر من النظم، ولعل أشهر هذه الرباعيات رباعية مدرك الشيباني الغزلية[6].

---

(١) أخبار الشعراء المحدثين ص ٤٦

(٢) الأغاني ١٤: ٣٢٤

(٣) أبو القاسم مدرك محمد، وقيل علي، الشيباني، أعرابي من بادية البصرة، ثم قدم بغداد صغيراً، فتفقه وأخذ علوم العربية، وأصبحت له حلقة في بغداد، كان يغشاها الأحداث يأخذون عنه، وممن سمع منه المعافى الجريري، وكان بينه وبين جحظة مقارضة، تولع بعمرو النصراني، فأذهل عقله حتى ذاب في محبته له، وأدركه المعافى الجريري ت ٣٩٠هـ وهو في أول الشباب، توفي مدرك نحو سنة ٣٣٠هـ. مصارع العشاق ١: ٢٤٢، ٢: ٢٥٨، ١٧٠، تاريخ بغداد ١٥: ٣٦٨، معجم الأدباء ٦: ٢٦٩٢، إنباه الرواة ٢: ٢: ٢٥٢

(٤) نشوار المحاضرة ١: ١٠٠

(٥) اتجاهات الشعر العربي ص ٣٨٣

(٦) مصارع العشاق ٢: ١٧٠، رواها عنه المعافى الجريري، معجم الأدباء ٦: ٢٦٩٣

لم يقتصر نمط الرباعيات على الشعر العربي بل تأثر بها الشعر الفارسي[1]، فجرى هذا النمط الشعري في عروقه، وكان قد عادت له الحياة[2]، فشاعت الرباعيات في الشعر الفارسي، من عصر مبكر[3]، ووصلت إلينا رباعيات كثيرة، أشهرها رباعيات الخَيَّام.

تُقدِّمُ لنا هذه الرباعية لابن دريد تحرره من قَيْد التقليد، واستخدامه الأنماط المختلفة للشعر شكلًا لا مضمونًا، وهو العالم التراثي، الذي عني بالعربية لغة وأدبًا، وأن هذا الانتماء لم يجعله بمعزل عن التطور في شكل النص الأدبي، بل نهد لركوب بعض ما استجد على الشعر العربي من ظواهر وأنماط جديدة.

تَوْثيقُ نِسْبة القَصيدةِ

أُلحقت القصيدة الرباعية بالكتاب الموسوم بـ «كتاب الشطرنج مما ألفه العدلي والصولي وغيرهما» والكتاب بخط منتخبه على الأرجح، وقد عَنْون المنتخب بكل وضوح لقصيدة ابن دريد، فقال: «وهذه أخرى لأبي بكر بن دريد». والمُنْتخبُ أوردها لعلاقتها بالشطرنج، كما سيرد.

وليس هذا النمط من الشعر مستغربًا من ابن دريد فقد وردت له قصائد من هذا النمط وغيره، ففي ديوانه مثال من هذه الأشعار، وهي قصيدة رباعية بديعة، قائمة على التسلسل الهجائي للقوافي[4]، وهو شكل أوسع بطانا من الرباعيات المعروفة، لأن كل حرف من حروف الهجاء يخصه بأربعة أبيات يبدأ كل بيت بهذا الحرف، وتكون القافية عليه، ولم يلتزم بوزن واحد في كل رباعية، بل اختلفت أوزانها، وهو نمط إبداعي لم يكتب له أن ينتشر لصعوبته، ولم أجد من صنعه غير ابن دريد من المتقدمين.

---

(١) اتجاهات الشعر العربي ص ٥٧٧

(٢) تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ٥: ٥٦٥

(٣) تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ٥: ٣٢٨

(٤) ديوانه الإمام ابن دريد ص ١١٥

وأمر آخر يؤكد الثقة بنسبة هذه الرباعية لابن دريد، حيث نص المنتخب صراحة على أنها له، وهو كما سيُذكر بعد قليل ثِقَةٌ أديب راوية، يَثِقُ به الشعراء فيُوكلُون إليه إلقاء قصائدهم أمام الكُبراء[1]، فهو قد جمع مزيتين: أنه راوية مجيد متقن، وثقة في ما يرويه من الشعر، وكلا هذين الأمرين مطلوبين لقبول ما يُورده، والثقة في ما يثبته، فلما كان منهما بهذا المحل فإن الثقة بما أثبته وقبوله متحقق.

ويضاف إلى ذلك أن الكتاب رُقِمَ في سنة (٥٣٥هـ)، فبين المُنْتخبِ ووفاة ابن دريد نحو قرنين من الزمان، فهو قريب العصر لابن دريد بالنظر إلى كتب الصدر الثالث من المصنفين. ولما كان الأمر كذلك فلا نجد مندوحة من قبول نسبتها لابن دريد، خاصة وأن الباحث لا يجد ما يوحي بالشك في نسبتها لابن دريد.

لماذا أَنْشأ ابنُ دريد القَصِيدةَ؟

عُني ابن دريد في بعض شعره بالناحية التعليمية المقترنة بالروح الشعرية، وهذا ما نجده في مقصورته وقصيدته التي سبقت هذه في وصف الأسد، وهذه القصيدة لها علاقة بالشطرنج، وهي لعبة عقل لا لهو، فلا يُستبعد أن ابن دريد كان له بعض العناية بها، وقد عاصره أبرع الشَّطْرنجيين؛ وهو أبو بكر الصُّولي (ت٣٣٦هـ) فلا يُستبعد أنه كان يجيد لعبها، فمن ثم وضع هذه القصيدة. وهذا احتمال ظاهر بل قوي، وقد تهيأ له هذا الهدف التعليمي فقرنه مع مديح صرفه لقائد ينتمي إلى جَدٍّ اسمه حُجْر، وهو قائد من قواد ذلك العصر، بل تخبرنا القصيدة بأنه من القواد الكبار، الذين يقودون معارك كبيرة، فيحوزون الغنائم والأسرى، ومع طول البحث لا نجد قائدًا في زمن ابن دريد له نَسَب إلى مَن يسمى حُجْر، وهذا لا ينفي هذه الحقيقة الماثلة في القصيدة؛ إنما يجعلنا على قَدْر كبير من جهالته، وهو أمرٌ لا يضير القصيدة ولا هذا القائد المجهول.

وقد يكون هذا القائد الممدوح من ذرية وائل بن حُجْر الحَضْرَمِيِّ، يقول ابن دريد:

(١) خريدة القصر ٩: ٢٢٥

لحُجْرٍ القَيْلِ أَخُو التَّعْظِيْمِ

ويقول:

سَـجِيَّةٌ كَانَـتْ لهُـمْ قَدِيمَـهْ تَـاهَ بهـا حُجْـرٌ وبالأَرُوْمَـهْ

ووصف ابن دريد يدل على أن حجرًا من أقيال اليمن، وهو صحيح، فقد كان حجر وابنه وائل كذلك من أقيال اليمن، وظهر الإسلام ووائل قَيْل معروف، ثم أسلم وقدم على رسول الله ﷺ المدينة[1]، وامتد به العمر إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وكان قد انتقل إلى الكوفة بعد تمصيرها فسكنها، وله عقب لهم ذكر وحضور في الكوفة[2]. فقد يكون الممدوح من عقبه الذين كانوا بالعراق، وهذا احتمال قائم لكنه غير مسلم به ولا مؤكد.

وقد نجد في التحدي الذي يجيده ابن دريد سببًا في إنشاء هذه القصيدة، فهو الذي دخل في تحدٍّ مع عدي بن زيد العبادي، صاحب الصادية المشهورة، فأنشأ قصيدته الصادية التي مطلعها:

يَسْـعَدُ ذُو الجَـدِّ ويَشْـقَى الحَرِيْـصْ ليـسَ لِخَلْـقٍ عـنْ قَضَـاءٍ مَحِيْـصْ

وهي القصيدة التي قرنها أبو العلاء المعري [3] بقصيدة عدي، ونجح ابن دريد في هذا التحدي الصادي، وفي التحدي مع كثير من القوافي المستصعبة، كالضاد والظاء[4]، والرباعية البديعة التي ذكرنا قبل ذلك، فلعل ابن دريد أراد أن يثبت قدرته بهذه القصيدة التي لها علاقة بالشطرنج البعيدة عن مجاله الأدبي، وهذا نابع من اعتداد ابن دريد بنفسه وبعلمه، وهو اعتداد كبير.

---

(١) أنساب السمعاني ١١: ١٦٢

(٢) أنساب السمعاني ٤: ١٨٠، التاريخ الكبير للبخاري ١: ٦٩، ٨: ١٧٥، الاستيعاب ٤: ١٥٦٢

(٣) رسالة الغفران ص ١٨٩

(٤) ديوان الإمام ابن دريد ص ٧١، ٧٢، ٧٥

والخلاصة أن ابن دريد صنع هنا صنيعه في مقصورته فكانت القصيدة في المدح لكنها حملت هدفًا تعليميًّا ظاهرًا جليًّا، اختلف عن أهدافه التعليمية اللغوية حيث كان الهدف شطرنجيًّا.

القَصِيدةُ

بنى ابن دريد هذه القصيدة متحدة الوزن بخلاف رباعيته الأخرى التي أشرنا إليها، وبناها على القافية الرباعية، فكل أربعة أبيات موحدة القافية، وقد جاءت قصيدته هذه في ست عشرة رباعية (١٦)، سقط بيت من أحد الرباعيات، فأصبحت بيتًا واحدًا، وعدد أبيات الرباعية مجملًا واحد وثلاثون بيتًا (٣١)، واثنان وستون شطرًا (٦٢)، ولو لم يسقط بيت من الرباعية الحادية عشرة لاكتمل عدد أبياتها اثنان وثلاثون بيتًا (٣٢).

لقد أنشأ ابن دريد هذه الرباعية على قاعدة لم أتبين كُنْهها، نص عليها المُنْتخِب لها في هذا الكتاب فقال[١] عنها إنها قصائد: «تُلْتَقَطُ بأول حرفين من أوائل حروفها شَطْرنْجَان من الرَّقعة بالفرس». وهذا يدل على أنها خاصة بحركات الفَرَس في الشطرنج، والتي تختلف عن كل حركات قطع الشطرنج الأخرى، وهذا جعل ابن دريد يلتزم حرفين في بداية كل شطر، لأنه مرتبط بموقع حركة قطع الشطرنج من الرقعة، ووضع القطع في موضعه المناسب للظفر، لأن الفرس تكون حركته ثلاث نقلات، يأخذ في الثالثة الأخيرة يمينًا أو يسارًا[٢]، فلكل مسار من المسارين حرف يرمز له به، وكذلك لكل موضع في رقعة الشطرنج حرف أو أكثر يرمز لها به.

ولم يكن ابن دريد في ما يظهر مطبوعًا في هذا المسرب الشعري، ولم يسعفه

---

(١) كتاب الشطرنج ١٣٦/أ

(٢) لم أستيقن أن حركة الفرس كما ذكرتُ إلا من صور اللعب ذكرها العدلي والصولي في كتابيهما ونقلها المنتخب في كتاب الشطرنج ٣١/ب، ٣٧/ب، ٦٩/ب فحركة الفرس تحتم ذلك التصور الذي ذكرته، وهو يتفق مع حركتها في الشطرنج الحديث.

أنه بناها على بحر الرجز المطاوع، فبدت الرباعية لا تُشاكل كثيرًا من شعره؛ في شدة الأسر، وترابط الأفكار والمعاني، وكثرة التشبيهات، وتجلي الروح الشعرية، فهي قصيدة ترى الضعف في أبياتها، وتجد فيها بعض التفكُّك، الذي حتمه هذا التقسيم الذي لم يعتده الشاعر ولم نعتده منه نحن أيضًا، وزاد الأمر ضغثًا على إبالة قلة التشبيهات والصور، ونزرة الغريب، وهو الأمر الذي لا نجده حتى في قصائده الشعرية أو التعليمية، كالمقصورة، وقصيدته السالفة في وصف الأسد، ولنقرأ قوله:

مُبــارِزُ الصَّمْصَــامِ في العَزِيْــمِ لَدَى اخْــتِرَاعِ الــرَّأي والتَّقْوِيــمِ
مُــوْفٍ على التَّأْدِيْــبِ والتَّعْلِيــمِ لحُجْــرٍ القَيْــلِ أَخُــو التَّعْظِيْــمِ

وقوله:

سَــاءَ العَــدُوَّ ذَاكُــمُ أَمْ سَرَّهْ قُبِّــحَ مَــن يَبْــغِي لَــكَ المَعَــرَّهْ
مَــدَّ عَلَيْــكَ اللهُ -حُجْــرُ- سِــتْرَهْ لَــوْلَاكَ قَــاسَى كُلُّ عَانٍ ضُرَّهْ

وهذا شعر بادِي التكلف، لا نجد فيه روح الشعر وماءه، الذي يقوم على التشبيهات والصور، وهذا لا يعني أن القصيدة كُلها على هذا المنوال، بل نجد في بعض أبياتها ابن دريد الشاعر المطبوع ماثلًا، كقوله:

قَهْقَــهَ مِنْــكَ المَــوْتُ يَــوْمَ المَعْرَكَــهْ سَــدَّتْ قَنَــاكَ شَمْسَــهَا المُشْــتَبِكَهْ
نَوَّهْــتَ فِيْهَــا الأَنْفُــسَ المُحَنَّكَــهْ سَــحَابةٌ صُبَّــتْ عَلَيْهِــمْ مُهْلِكَــهْ

وقوله:

يَــزْوَرُّ وَجْــهُ الأَرْضِ إنْ تَصَــدَّرا كَهْــفٌ وكَــنْزٌ ومَــلَاذُ مَــن تَــرَى

وقوله:

رَوَّيْــتَ بالطَّعْــنِ مُتُــوْنَ الأَرْضِ تَــزَاوَرَتْ عَنْــكَ دَوَابُ الرَّكْــضِ

رُحْـــتَ بوَجْـــهِ الظَّفَـــرِ المُبْيَـــضِّ قَـــوِيَّ بَـــاعٍ عَـــنْ لـــوى مُرْفَـــضِّ

وهي وإن لم تبلغ مبلغ شعره في المقصورة أو قصيدته السالفة في وصف الأسد إلّا أنها تفوق بعض ما ورد من شعر ضعيف في هذه الرباعية.

والشاعر المفلق تنتابه لحظات لا يواتيه الشعر، فيخرج منه شعر دون شعره، وإن التمسنا لابن دريد العذر فهو كامن في أمرين تضافرا على شاعريته، فأضعفا طبعه، وأخْمَدا جَذوة قريحته في هذه القصيدة الرباعية، وهما:

الأول: الالتزام بحرفين في أول الشطر، ومن لم يلتزم هذين الحرفين أو يخل بواحد منهما فإن قصيدته تسقط وتوصف بالاضطراب[1]، وهذا القيد الشطرنجي جعله أسيرًا لحرفين لا بد أن يبدأ بهما كل شطر، ومعنى هذا أنه يلزم بكلمة لا يجد عنها مناصًا، وإن وُسِّع الأمر عليه فقد يجد كلمتين يفاضل بينهما، فيبني البيت على غير اختيار منه وسليقة، فيكون ذهنه منصرفًا إلى هذين الحرفين، فإن عثر على الكلمة وأثبتها فلا يكاد يجاوزها حتى تهجم عليه القافية فهو يتطلبها في نهاية كل شطر، فيكون بين قوسين من الضغط، يحدَّان من طبعه وقريحته، فلا يجد مناصًا من التكلف، وقسر الطبع على بلوغ الصواب، دون بلوغ الإجادة الفنية، وهذا نرصده في بعض الألفاظ والتراكيب، كقوله:

تَزَاوَرَتْ عَنْكَ دَوَابُ الرَّكْضِ

وقوله:

تَاهَ بِهَا حُجْرٌ وبالأَرُوْمَهْ

وقوله:

سَبقْتَ مَجْدًا فتَولَّيتَ العَلَمْ

---

(١) وصف المنتخب واحدة من القصائد التي أوردها وتماثلها في الهدف بأنها مضطربة، لأنها أخلت ببعض الحروف. كتاب الشطرنج ١٣٨/ب

فقد ألجأته القافية إلى هذه التراكيب الضعيفة «فدواب الركض» وأي دواب في وقعة لا تُرْكَضُ!، وما حُجْرٌ والأرومة إلَّا واحدٌ، والعَلَم جاءت بحكم الضرورة، قلقة مبتذلة.

الثاني: هذا الشعر يحتاج إلى طول ممارسة ودِرْبة تؤدي بالشاعر إلى القوة عليه، والإتقان له، قال الجاحظ[1]: «ولم يَقْوَ أحدٌ على المُخمَّس والمُزْدوَج على مثل ما قَوِيَ عليه بشر». وبشر لم يكن شاعرًا فحلًا يشار إليه، بل كان من متوسطي شعراء عصره، وهذا يجعلنا نعلم أن ليس كل شاعر قادر على إجادة مثل هذه الأنماط الشعرية، وإنما هي موهبة ودربة ومران، وابن دريد لديه الموهبة وليس لديه من الدربة والمران على هذه الأنماط من الشعر، فمن ثم ظهرت بهذه الحالة الشعرية التي لم نعهد شعر ابن دريد عليها.

والقصيدة على أنها لم تكن من نمط ابن دريد، ولا نمط تراثه الذي يدرسه ويعانيه إلَّا أن نمط ابن دريد الشعري حاضر فيها وإن كان شبه متوارٍ، يظهر في أمرين في هذه الرباعية، هما:

١- الغريبُ الذي يُطل على القارئ في خَلل بعض أبيات القصيدة، مثل: يَطَّبيه، وغم، حجز، وهو غريب لا يبدو نشازًا في متن القصيدة، إنما هو في موضعه الصحيح، ويخدم النص مبنى ومعنى.

٢- المبالغة الظاهرة، كقوله:

قَهْقَـهَ مِنْـكَ المَـوْتُ يَـوْمَ المَعْرَكَـهْ سَـدَّتْ قَنَـاكَ شَمْسَـهَا المُشْـتبكهْ

وهي مبالغة محالة، فكيف تسد القناة الشمس! والشعراء تذكر غياب الشمس بقتام وغبار الوقعة لا بالقنا والسيوف. وهذه المبالغة تتفق مع مبالغة سبقت في قصيدته الأسدية حين يقول:

---

(١) البرصان والعرجان ص ٨٩، وبشر هو ابن المعتمر.

وعَلَّمَ ذِكْرِي الشَّمسَ كَيْفَ مَسِيرُها

فالشمس حاضرة في التشبيه المبالغ فيه.

والقصيدة كما ذكرنا حملت مع هدفها التعليمي هدفًا آخر هو المديح، لكن القارئ والباحث لا يتبين له الممدوح، وقصارى ما نخرج به بعد ترديد النظر في القصيدة أنه ينتمي إلى جد يُسمى حُجْرًا، يقول:

مُـوْفٍ على التَّأْدِيْـبِ والتَّعْلِيـمِ لحُجْـرٍ القَيْـلِ أَخُـو التَّعْظِيْـمِ

ويقول:

سَـجِيَّةٌ كَانـتْ لهُـمْ قَدِيمـهْ تَـاهَ بهـا حُجْـرٌ وبالأَرُوْمَـهْ

وتدل أبيات ابن دريد أنه يمدح قائدًا، يقود الوقائع، ويتقدم الجيش، ويستأثر بخيار المغنم، ويأخذ الأسرى، يقول:

تَحْـفَى بكَفَّيْـكَ السُّـيُوفُ القَاتِلَـهْ رُزِقْـتَ مَـا يَنْمِيْـكَ في المُبَاهَلَـهْ

رَوَّيْـتَ بالطَّعْـنِ مُتُـوْنَ الأَرْضِ تَـزَاوَرَتْ عَنْـكَ دَوَابُ الرَّكْـضِ

رُحْـتَ بوَجْـهِ الظَّفَـرِ المُبْيَـضِّ قَـوِيَّ بَـاعٍ عَـنْ لـوى مُرْفَـضِّ

رَدِيْفُـكَ الأُسْرَةَ والغَنِيْمَـهْ تَهْـنَى برَغْـمِ الآنُـفِ المَوْسُـوْمَهْ

لقد جاءت كثير من أبيات هذه الرباعية تصف كرم هذا الممدوح، وتصور وقائعه، وصفًا تقليديًّا لا جديد ولا إبداع فيه، مع حضور المبالغة في بعض الصور والمعاني، وهو أمر يعتاده ابن دريد في كثير من قصائده، لكنها لم تفصح عن اسمه ولا نسبه ولا موضعه الجغرافي، ولولا ذكره حجرًا والأرومة لقلت إنه شخص وهمي.

وقد ألح ابن دريد في مديحه على خصلتين في هذا الممدوح، تظهر أنه لم يكن من الولاة، فلم يذكر العدل والإنصاف، وهما من أخص صفات مدح الولاة، والخصلتين

هما: الكرم، والشجاعة، حتى تكاد أن تكون القصيدة كلها مقصورة على هاتين الصفتين في مديحه، كقوله يمدحه بالكرم:

لَهُ على النَّـاسِ أَيَـادٍ مُثْقَلَـهْ يَـدٌ تُرَاعِيْهِـمْ وأُخْـرَى مُقْبِلَـهْ
كَبِـيرَةٌ مـا كَدَّرَتْهَـا المَسْـأَلَهْ مَـارَتْ فأَغْنَـتْ مُعْرِيًـا وأَرْمَلَـهْ

ويقول ذاكرًا شجاعته وظفره:

رَوَّيْـتَ بالطَّعْـنِ مُتُـوْنَ الأَرْضِ تَـزَاوَرَتْ عَنْـكَ دَوَابُ الرَّكْـضِ
رُحْـتَ بوَجْـهِ الظَّفَـرِ المُبْيَـضِّ قَـوِيَّ بَـاعٍ عَـنْ لِـوَيٍ مُرْفَـضِّ
رَدِيْفُـكَ الأَسْرَةَ والغَنِيْمَـهْ تَهْـنَى برَغْـمِ الآنُـفِ المَوْسُـوْمَهْ

وإن تكن هذه القصيدة الرباعية شح فيها التشبيه والاستعارة فإنه حلاها بقليل من المحسنات اللفظية،كالطباق في قوله:

مَحْيَـاكَ للأُمَّـةِ غَيْـثٌ دَائِـمُ كَـزَرْعِ رَوْضٍ مُحْصَـدٌ وقَائِـمُ

فقد طابق بين الحصيد والقائم من الزرع.

وقوله:

لِزَائِـرِ إذَا أَتَـاهُ مُقْـتِرا يَحْـنِي عَلَيْـهِ رِفْـدَهُ المُيَـسَّرَا

والطباق هنا بين المقتر والميسر.

وهي محسنات جاءت عرضًا من دون تطلب وتكلف، وهو ما يوافق طابع ابن دريد الشعري ونَفَسَه.

وصفُ الأصلِ المَخْطوطِ

جاءت القصيدة في ذيل مخطوط نفيس نادر، محفوظ في مكتبة لالا إسماعيل باشا بإسطنبول، تحت الرقم (٥٦٠)، ويقع المخطوط في مئة وثلاث وأربعين ورقة (١٤٣) ورقة، أي (٢٨٦) صفحة، وأثبت كاتبه تاريخ تدوينه، وهو في ذي الحجة من سنة ٥٣٥هـ[١]، والكاتب هو: أبو إسحاق إبراهيم بن المبارك بن علي المذهب[٢] البَغْدَاديّ[٣]، والكتاب من انتخابه وانتقائه، يدل على هذا قوله «كتبه» ولم يقل «نسخه» وبينهما بون شاسع في الدلالة.

وهذا الكتاب منتخب من كتابين في الشطرنج، إضافة إلى التقاطاتٍ من كتب أخرى في الشطرنج لم يذكرها المنتخب، وعماده ما صنفه العَدْليُّ[٤] ومعاصره أبو بكر

---

(١) كتاب الشطرنج٥٥/أ

(٢) لم يضبطه بالشكل في المخطوط، فتركته كما هو، لأن الاجتهاد في الأسماء غير ممكن.

(٣) لقيه العماد الأصبهاني ببغداد فقال عنه في خريدة القصر ٩: ٢٢٥: «أنشدني الشيخ المؤدب المقرئ أبو إسحاق إبراهيم بن المبارك البغدادي بها، في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وخمس مئة، وكان راوية الشعراء، ينوب عنهم في الإنشاد بين يدي الكبراء». وحسبك بهذا الوصف من الثقة به وبما يرويه ويؤخذ عنه، أما وفاته فهي قطعاً بعد سنة ٥٥١هـ

(٤) العدلي: لا نعلم اسمه بل إن النديم جهل اسمه فترك موضعه بياضاً، وإنما هو شطرنجي مجيد، سابق لأبي بكر الصولي، وكتابه أول كتاب في الشطرنج، وألف الصولي كتابه فنقل منه ورد عليه في تضاعيفه كما في النسخة الخطية المنتخبة من كتابيهما، وله كتاب آخر في النرد، فهو من رجال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري. الفهرست ١: ٤٨٠

الصُّوْلِيُّ[1] في الشَّطرنج[2]، وقد قسمه مصنفه إلى قسمين، القسم الأول خصَّصه لما انتخبَهُ مِن مصنفي العدلي والصولي، والقسم الثاني يبدأ من الورقة (٥٥/ب) وخصَّصهُ لما انتخبه من كتاب الصولي ومصنفات أخرى لم يذكرها، ويدل هذا على أن كتاب العدلي مختصر وكتاب الصولي مبسوط.

وعَمدَ المنتخبُ «المصنف» إلى وضع ذيل لكتابه، أثبت فيه قصائد فريدة مختلفة لها علاقة بالشطرنج، أولها أرجوزة الطَّاهر البَصْري، ثم أرجوزة ابن دريد الرُّباعية، التي هي مناط التحقيق، وقال المنتخب مُقدمًا لتلك القصائد: «وهذه قصائد تُلتَقطُ بحرفين من أوائل حروفِ أبياتها شطرنجان من الرُّقعة بالفَرَسِ». وأورد بعدها أربع قصائد شطرنجية، نسب واحدة على التمريض للخريمي[3]، وأخرى لخالد القناص[4].

ويُعدُّ هذا المخطوط أقدمَ مصنف في الشطرنج وصل إلينا[5]، وهو مخطوط مُتقن، ناسخُهُ في ما يظهر هو مُنْتخبُ الكتاب وناضده؛ إبراهيم بن المبارك البغدادي، وتاريخ النسخ مُثبت في نهاية القسم الأول[6]، نصه: في ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين وخمس مئة (٥٣٥هـ).

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى، من مشاهير عصره، كاتب مبرز، وشاعر مجيد، ومصنف مجود، وفوق ذلك من أمهر أهل زمنه في الشطرنج، له مصنفات كثيرة، ولد ببغداد وخرج منها بعد أن ألمت به ضائقة فمات بالبصرة سنة ٣٣٥هـ وقيل التي بعدها. تاريخ بغداد ٤: ٦٧٥، معجم الأدباء ٦: ٢٦٧٧

(٢) في الورقة ٤٠/ب يقول الصولي: «هذا آخر ما اخترناه من كتاب العدلي، وقد أتيت على خير ما فيه». فهل اعتمد المنتخب على كتاب الصولي ولم يطلع على كتاب العدلي؟ سؤال لم أتقص الإجابة عنه لأن موضعه غير هذا الموضع، بل إن المُنْتَخِبَ لم يورد كنية العدلي ولا اسمه، ولا شك أنها مثبتة في كتابه، فكيف غفل عنها؟

(٣) أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي، الشاعر المعروف. الشعر والشعراء ٢: ٨٤٢

(٤) شاعر متقدم العصر مجهول الحال. طبقات الشعراء ص ٣٢٥، الطرائف الأدبية ص ١٠٢

(٥) مقدمة النسخة المصورة لكتاب الشطرنج ص ٦

(٦) كتاب الشطرنج ٥٤/أ

تقع قصيدة ابن دريد في الورقتين (١٣٧/ب ١٣٨/ب)، فهي قد جاءت في صفحتين ونصف صفحة، وقال مقدمًا لها: «وهذه أخرى في مثلها، لأبي بكر بن دريد، وهي جيدة».

وخط الكاتب واضح جلي في كثير من المواضع، استخدم خط النسخ في كتابته، مع ضبط بعض الكلمات بالشكل، واستخدم قلمًا دقيقًا في كتابته، وفَصَل في كتابته للقصيدة بين كل رباعية والتي تليها بنحو سطرين، لكنه في الرباعية العاشرة دمجها مع ما بقي من الرباعية الحادية عشرة، لأنه سقط بيت منها، لكنه اضطرب بعدُ فأضاف إليها بيتًا من الرباعية الثانية عشرة، فأصبحت أربعة أبيات في ثمانية أشطار، وبقي بيت من الرباعية الثانية عشرة منفردًا من دون قرينه.

أما طريقته في الكتابة فهي واضحة لا لبس فيها، ولا تُخِلّ بصحة القراءة، لكنه مضطرب في بعض المواضع، فنجده يثبت همزة القطع في مواضع يسيرة، مثل: أخرى، أياد، الأنام، لكنه يتجاوزها في مواضع كثيرة، مثل: الأمور، أن، أخي، أنت، وغيرها، كما أنه يسهل الهمزة في مواضع ورودها متوسطةً كغيره من كتاب تلك العصور، فالجوائز يكتبها «الجوايز»، ودائم يكتبها «دايم»، وقائم يكتبها «قايم». كما أنه يحرص على إثبات الشدة في مواضعها، ويهمل النقط في بعض الكلمات، وهو ما يخل بقراءة النص، لأنه لم يلتزم طريقة واحدة في النقط.

القَصِيدَةُ الشطرنجيَّة

قال مُنتخبُ الكتاب: أبو إسحاق بن المبارك البغدادي:

وهذه أخرى في مِثْلها لأبي بكر بن دريد، وهي جيدة[١]:

١-يَـا سَـائِلِي عَمَّـا عَلَيْـهِ اسْـتَعْجَمَا ٢-لَبَّـاكَ مَـن صَرَّحَ مَـا تَجْمْجَمَـا[٢]

٣-يُجِيْـلُ فِكْـرًا فِي الأُمُـورِ لَهْذَمـا[٣] ٤-كأنَّ فِيْـهِ الرُّشْـدَ قَـدْ تَقَوَّمَـا[٤]

***

١-مُبـارِزُ الصَّمْصَـامِ فِي العَزِيْـمِ[٥] ٢-لَدَى اخْـتِرَاعِ الـرَّأي والتَّقْوِيـمِ[٦]

٣-مُـوْفٍ على التَّأْدِيْـبِ والتَّعْلِيـمِ[٧] ٤-لِحُجْـرٍ القَيْـلِ أَخِي التَّعْظِيْـمِ[٨]

***

١-يَـزْوَرُّ وَجْـهُ الأَرْضِ إنْ تَصَـدَّرا[٩] ٢-كَهْـفٌ وكَـنْزٌ ومَـلَاذُ مَـن تَـرَى

---

(١) ليس هذا حكماً فنيًّا وإنما حكم شطرنجي، بالنظر إلى الحرفين المستخدمين في أول كل بيت.

(٢) التجمجم: الكلام الذي لا يَتَبَيَّنُ.

(٣) اللهذم: الحاد من السلاح. وهو كناية عن حِدَّة الفكر وتوقده.

(٤) أمامه في الهامش «صلى الله عـ» وقد يكون يجرب قلمه، فليس لكتابتها سبب. يصفه بأن الرشد قد أصبح ميزانه هذا العقل الحاد المتوقد.

(٥) الصمصام: الماضي من الرجال الجَلدُ. العزيم: العزيمة.

(٦) لدى: أثبت لها ياء، وهو سهو منه.ويصفه هنا بأنه صاحب رأي مبتدع قويم.

(٧) حجر: من أجداد الممدوح، ولم أتبين من يكون هذا الممدوح. القيل: كل ملك من ملوك حمير باليمن يسمى «قيل» وجمعه أقيال، وهو دون الملك الكبير الذي تضمهم مملكته. الموفي من الرجال من تجاوز الحد فأوفى عليه وأربى.

(٨) حجر القول: خناه ومحرمه. أي يعظم قوله والفوه به.

(٩) يزور: من الازوار، وهو إذا انحرف وابتعد شق واطمأن شق آخر من الصدر، ويعني بذلك تعلو وتسمو الأرض التي هو فيها مزورة عن غيرها لمقامه فيها.

٣-لزائـــر إذَا أَتَـــاهُ مُقْـــتِرا ٤-يُحْـنِي عَلَيْـهِ رِفْـدَهُ المُيَـسَّرَا

***

١-كـــوَالِدٍ حَـــنَّ عَلـــى بَنِيْـــهِ ٢- مُزَحْـزِحٍ عُـسْرَةَ مُجْتَدِيْـهِ[١]

٣-كحَافِـظٍ حُرْمَـــةَ مَـنْ يَلِيْـهِ ٤- يُوْسِـعُهُ فَضْـلًا ويَصْطَفِيْـهِ

***

١-لَهُ على النَّـاسِ أَيَـادٍ مُثْقَلَـهْ ٢- يَـدٌ تُرَاعِيْهِـمْ وأُخْـرَى مُقْبِلَـهْ

٣-كَبِـيرَةٌ مـا كَدَّرَتْهَـا المَسْـأَلَهْ ٤ مَـارَتْ فأَغْنَـتْ مُعْرِيًـا وأَرْمَلَـهْ[٢]

***

١- لِجَـارِهِ فَضْـلٌ على جَـارِ الأَسَـدْ[٣] ٢- مَهَابَـةٌ وعِـزَّةٌ بَعْـدَ جَـلَدْ

٣- كَـدَّ بُيُـوْتَ المـالِ في بَـذْلِ الرِّفَـدْ[٤] ٤- يَبْـنِي المَعَـالِي بأَسَـاسٍ وعَمَـدْ

***

(١) زحزح: نحى من موضع إلى موضع، وهو هنا نحا قاصده لطلب المعونة من الفقر إلى الغنى.

(٢) كبيرة: وصف لليد التي تعطي. مارت اليد: ترددت جيئة وذهاباً. الميَرةُ: الطعام يَمْتارهُ الإنسان. وقد مارَ أهلَه يَميرُهُمْ مَيْراً.

(٣) جار الأسد: ضربه مثلًا في المَنَعَة الامتناع.

(٤) كدّ بيوتَ المال: أنهكها وأهلكها بالبذل. والرِفَد: ج رِفْدة.

١-[٢/أ]لَا يَطَّبِيـهِ الشُّـحُّ فِي الجَوَائِـزِ[١] ٢-مُجَـاوِزٌ فِي جُـوْدِهِ المُجَـاوِزِ

٣-قَـالٍ لبُخْـلِ اللَّحِـزِ المُحَاجِـزِ[٢] ٤-رَجَاحَـةٌ مـا رَبُّهـا بالعَاجِـزِ

***

١- تَبًّا لِمَنْ يَشْنَاكَ يا حُجْزَ الكَرَمْ[٣] ٢- رَامَ الحَسُودُ مِنْكَ وَغْمًا فَانْقَصَمْ[٤]

٣- فَجّ[٥] فَـلا زَلَّـتْ بنَعْلَيْـكَ القَـدَمْ ٤-سَـبَقْتَ مَجْـدًا فتَوَلَّيْـتَ العَلَـمْ[٦]

***

١- تُـدْرِكُ بالثَّـأْرِ وتَـأْبَى الطائلـةْ[٧] ٢-سَـوْرَةَ غَشَّـامِ الأُسُـوْدِ الهَائِلَـهْ[٨]

٣-تَحْـفَى بكَفَّيْـكَ السُّـيُوفُ القَاتِلَهْ[٩] ٤- رُزِقْـتَ مَـا يَنْمِيْـكَ فِي المُبَاهَلَـهْ[١٠]

***

---

(١) يطبيه: يدعوه ويستميله.

(٢) اللحز: الشحيح من الرجال. المحاجز: الذي يحجز ماله دون محتاجه.

(٣) يشناك: يكرهك. الحجز: الأصل والمنبت.

(٤) الوغم:القهر، أي: رامَ قهرك. انقصم: انكسر وخاب.

(٥) في الأصل «قج»، ولا معنى لها، ولم يذكرها في كتابه الجمهرة، وما أثبت هو الأظهر الموافق للسياق. فَجِّ: فعل أمر، أي: افتح ما بين رجليك عَدْواً العدو السريع، وهو يوافق المعنى الذي يتطلبه.

(٦) العلم: كناية عن الاشتهار بالمجد والكرم.

(٧) الطائلة: العَداوة والتِّرَة.

(٨) السورة: الحدُّ والسطوة والاعتداء. الغشام: الغضوب الظالم.

(٩) تحفى: ترق من شدة الضرَّاب.

(١٠) في الأصل: «زُرَقْتَ» مضبوطة بالشكل، وهذا الرسم والضبط لا معنى له، ولعل الصواب ما أثبت. المباهلة: المفاخرة. ويعني بها القوة والشجاعة التي تردي خصومه يوم قتالهم.

١- قَهْقَـهَ مِنْـكَ المَـوْتُ يَـوْمَ المَعْرَكَهْ[١] ٢- سَـدَّتْ قَنَـاكَ شَمْسَـهَا المُشْـتَبِكَهْ[٢]

٣- نَوَّهْـتَ فِيْهَـا الأَنْفُـسَ المُحَنَّكَـهْ[٣] ٤- سَـحَابَةٌ صُبَّـتْ عَلَيْهِـمْ مُهْلِكَـهْ

***

١- قـزًّا وخـزًّا تُلْبِـسُ الأَيْتَامَـا[٤] ٢- وَهَبْـتَ في الحَـرْبِ لنَـا الأَنَامَـا[٥]

***

١- رَوَّيْـتَ بالطَّعْـنِ مُتُـوْنَ الأَرْضِ ٢- تَـزَاوَرَتْ عَنْـكَ دَوَابُ[٦] الرَّكْـضِ[٧]

٣- رُحْـتَ بوَجْـهِ الظَّفَـرِ المُبْيَـضِّ ٤-قَـوِيَّ بَـاعٍ عَـنْ لـوى مُرْفَـضِّ[٨]

***

(١) القهقهة: الضحك المرجع الذي له صوت. ويعني داخل الموت الفرح لكثرة ما قبض من النفوس بسيفه في هذه الوقعة.

(٢) المشبكة: التي اتصل ضياؤها فعمت الأرض. أي: سدّت قناكَ رماحك المشتبكةُ شمسَها.

(٣) نوه: أسمع الناس بالشيء. المحنك من الناس: من كان ذا تجربة ومعرفة. ويعني المحنكين من شيوخ الأعداء نوهت بذكرهم حين قتلتهم، فدارت أسماؤهم بين الناس.

(٤) القز والخز: نوع من الحرير، مسمى بالدودة التي تنتجه دودة القز. ويعني بهذا أنه يُلْبِس أيتام الحي مما غنم من المعركة الخيار.

(٥) كذا في الأصل مكتفياً ببيت واحد، وهذا يرجح أن البيت الثاني سقط، لأن القصيدة كلها مبنية على الرباعية، إضافة إلى أن المعنى لا يرتبط بما بعده. يعني بقوله «وهبت لنا»: الأسرى الذين اقتادهم من المعركة فوهبهم لقومه.

(٦) لعلّها تحريف: ذَواتُ الركْض.

(٧) تزاور: تباعَدَ وتمايل. الركض: تحريك الدابة بالرِّجل أو بغيرها. يصف حَيْدة المقاتلين عنه خوفاً من القتل، فهم يركضون دوابهم في ساحة المعركة.

(٨) الباع: قدر ما بين اليدين إذا مدتا، وقوله «قوي باع» كناية عن السطوة والتمكن. اللوى: جانبي الرمل، وقيل منقطعه. المرفض: ما يندفع فيه السيل من الأرض.

١- رَدِيْفُــكَ الأُسْرَةُ والغَنِيْمَــهْ[١] ٢- تَهْــنَى برَغْــمِ الآنُــفِ المَوْسُــوْمَهْ

٣- سَــجِيَّةٌ كَانــتْ لهُــمْ قَدِيمــهْ ٤- تَــاهَ بهــا حُجْــرٌ وبالأَرُوْمَــهْ[٢]

***

١- [٢/ب] رَبُّــكَ أَعْطَــاكَ الَّذي أَعْطَــاكَا ٢- قَــدَّسَ دُنْيَــاكَ وَمَــا أَوْلَاكَا[٣]

٣-سَــهْمٌ مِــن الجَــدِّ بــهِ اجْتَبَــاكَا[٤] ٤-تَجُــوْلُ في اسْــتِتْمَامِهَا يَــدَاكَا

***

١- سَــاءَ العَــدُوَّ ذَاكُــمُ أَمْ سَرَّهْ ٢- قُبِّــحَ مَــن يَبْــغِي لَــكَ المَعَــرَّهْ[٥]

٣- مَــدَّ عَلَيْــكَ اللهُ -حُجْــرُ- سِــتْرَهْ[٦] ٤- لَــوْلَاكَ قَــاسَى كُلُّ عَانٍ ضُرَّهْ

***

١- مَحْيَــاكَ للأُمَّــةِ غَيْــثٌ دَائِــمُ ٢- كــزَرْعِ رَوْضٍ مُحْصِــدٌ وقَائِــمُ

٣- يَهْــنِي الــوَرَى مَــا أَنْــتَ حَيٌّ سَــالمُ ٤-كَجَبَــلٍ لَاذَتْ بــهِ المَوَاسِــمُ[٧]

تمت

---

(١) الأسرة: رهط الرجل الأدنون منه، ويعني بهم خاصته من رجاله.

(٢) حجر: لعله كما قلنا يعني حجر بن وائل، من أثيال حمير. والأرومة: أصل الإنسان في نسبه.

(٣) التقديس: التطهير.

(٤) اجتباك: اصطفاك واختارك.

(٥) المعرة: الأذى والغرم الذي يؤدي إلى المشقة والشدة.

(٦) حُجْرُ: أي يا حُجر، والحجر: ما تحتجر بشيء تحيطه به، وحجر الله وقايته من كل شر وسوء.

(٧) المواسم: الأزمان التي يجتمع فيها الناس في موضع واحد.

المصادر والمراجع

١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، محمد مصطفى هدارة (ت١٤١٧هـ) بيروت ١٤٠١هـ

٢) أخبار الشعراء المحدثين، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت٣٣٥هـ) تحقيق: ج.هيورث. دن، بيروت: ١٤٠١هـ

٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي (ت٤٦٣هـ)، بيروت ١٤١٢هـ

٤) الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) مصورة طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ٢٠١٠م

٥) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، علي بن هبة الله بن ماكولا (ت٤٧٥هـ) تحقيق: عبدالرحمن المعلمي، حيدرآباد ١٣٨٣هـ

٦) إنباه الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت٦٢٤هـ) تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٤٠٦هـ

٧) الأنساب، أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني (ت٦٥٢هـ) تحقيق: عبدالرحمن المعلمي، حيدرآباد: ١٣٨٢هـ

٨) الأنساب، أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري (ق ٦هـ)، تحقيق: محمد إحسان النص، عُمان ١٤٣٧هـ

٩) البرصان والعرجان والعميان والحولان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت ١٤٠١هـ

١٠) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٢٥٥هـ، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة١٤٠٥هـ

١١) تاريخ الأدب العربي (الجزء الخامس)، شوقي ضيف (ت١٤٢٦هـ)، القاهرة: د.ت

١٢) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان (ت١٣٧٣هـ) ترجمة: عبدالحليم النجار، القاهرة: ١٩٨٣م

١٣) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن ثابت البغدادي (ت٤٦٣هـ) تحقيق: بشار عواد، بيروت ١٤٢٢هـ

١٤) تاريخ التراث العرب، فؤاد سزكين (ت١٤٣٩هـ)، ترجمة: محمود فهمي حجازي، مراجعة: عرفة مصطفى، سعيد عبدالرحيم، الرياض ١٤١١هـ

١٥) التاريخ الكبير، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: هاشم الندوي وآخرون، حيدر آباد: ١٣٧٣هـ

١٦) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم العراق)، تحقيق: محمد بهجت الأثري، جميل سعيد، مبروك المناعي، محمد البرهومي، الجزائر: ٢٠١٨م

١٧) ابن دريد حياته وتراثه اللغوي والأدبي، مصطفى السنوسي، الكويت: ١٤٠٤هـ

١٨) ابن دريد رائد القصة العربية، أحمد درويش، القاهرة ٢٠٠٣م

١٩) ديوان ابن دريد، دراسة وتحقيق: عمر سالم، تونس ١٩٧٢م

٢٠) ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد، اعتنى بجمعه وتحقيقه: بدر الدين العلوي، القاهرة ١٣٦٥هـ

٢١) رسالة الغفران، أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعري (ت٤٤٩هـ) تحقيق: عائشة عبدالرحمن، القاهرة٢٠٠٨م

٢٢) شرح أبيات إصلاح المنطق، أبو محمد يوسف بن الحسن السيرافي (ت٣٨٥هـ) تحقيق: ياسر السواس، دبي ١٤١٢هـ

٢٣) شعر الشافعي، جمع وتحقيق: مجاهد مصطفى بهجت، بغداد: ١٤٠٦هـ

٢٤) الشعر والشعراء، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، القاهر: ١٩٨٢م

٢٥) طبقات الشعراء، أبو العباس عبدالله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، تحقيق: عبدالستار فراج، القاهرة ١٩٨١م

٢٦) طبقات فحول الشعراء، أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي (ت٢٢٣هـ) تحقيق: محمود شاكر، القاهرة.د ت

٢٧) الطرائف الأدبية، عبدالعزيز الميمني الراجكوتي (ت١٣٩٨هـ)، القاهرة ١٩٣٧م

٢٨) الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم (ت٣٨٠هـ)، تحقيق: فؤاد سيد، لندن ١٤٣٠هـ

٢٩) كتاب الشطرنج مما ألفه العدلي والصولي، أبو إسحاق إبراهيم بن المبارك البغدادي (بعد ٥٥١هـ)، تقديم: فؤاد سزكين، فرانكفورت: ١٤٠٦هـ

٣٠) مراتب النحويين، أبو الطيب عبدالواحد بن الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، بيروت ١٤٣٠هـ

٣١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٦هـ)، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، بيروت ١٤٠٧هـ

٣٢) مصارع العشاق، السراج الوراق: جعفر بن أحمد البغدادي (ت٥٠٠هـ)، بيروت ١٩٨٠م

٣٣) معجم الأدباء، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٤١٤هـ

٣٤) معجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، منطقة عسير، علي بن عبدالعزيز الحربي، أبها: ١٤١٧هـ

٣٥) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، أبو علي المحسن بن علي التنوخي (ت٣٨٣هـ) تحقيق: عبود الشالجي، بيروت ١٣٩١هـ

٣٦) النوادر، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (ت٣٥٦هـ) تحقيق: محمد جواد الأصمعي، بيروت ١٤٠٧هـ

٣٧) نور القبس المختصر من المقتبس، أبو المحاسن يوسف بن أحمد اليغموري (ت٦٧٣هـ) تحقيق: رودلف زلهايم، بيروت ١٣٨٤هـ

٣٨) الوافي بالوفيات (٢)، صلاح الدين بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) تحقيق: س. ديدرنغ، بيروت ١٣٩٤هـ

٣٩) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٣٩٨هـ

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

معهد المخطوطات العربية

INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS

العنوان: ٢١ شارع المدينة المنورة، محيي الدين أبو العز، المهندسين، القاهرة مصر.

المراسلات البريدية: ص.ب: ٨٧ الدقي ج.م.ع.

الهواتف: ٣٧٦١٦٤٠٢/٣/٥ - ٠٠٢٠٢ الفاكس: ٣٧٦١٦٤٠١- ٠٠٢٠٢

الموقع الإلكتروني: www.malecso.org

صفحة التواصل الاجتماعي: www.facebook.com/IARMSS

تويتر: www.twitter.com/IARMSS

قَصِيْدَتان منسوبتان

لأبي بَكْرٍ ابن دُرَيْد (ت ٣٢١هـ)

شعر ابن دريد كثير مشهور منتشر في المصادر المطبوعة والمخطوطة التي كشف بعضها وغاب عن النظر بعضها، وعلى مر الأيام يعثر الباحثون على قصائد له لم تظهر من قبل، ومن هذا هاتان القصيدتان التي كانتا متواريتين عن الأنظار، وهما حقيقتان بالتحقيق والنشر؛ لأنهما تبيِّنانِ تنوُّعَ الموضوعات التي طرقها والتجديد الذي أبرز ابن دريد الشاعر المتواري خلف ابن دريد العالم، ولا شك أن تحقيق هاتين القصيدتين سيحرك أحد المهتمين؛ ليقوم بجمع تراث ابن دريد الشعري الذي زاد وتراكم لبُعْد المسافة الزمنية بين نشرتيه، وبين ما حُقِّق من فرائده ونوادره التي نجدها بين أيدينا.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد المخطوطات العربية
INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS (IAM)